الصّراط

الرقم الـ ١٤٢ محرّم الحرام ١٤٤٨

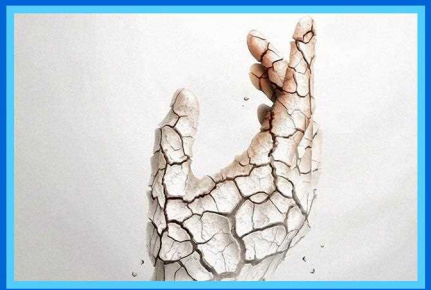

تفسخ البدن

الماسونية وتعاليم الكابالا

حركات ونهضات رايات سنة الظهور

قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:
«لا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف عليه ثلاثون ألف رجلٍ يزعمون أنّهم من هذه الأمّة كلّ يتقرّب إلى الله عزّ و جلّ بدمه و هو بالله يذكّرهم فلا يتّعظون حتّى قتلوه بغياً و ظلماً و عدواناً.»

«الأمالى » (للصدوق)، ج ١، ص ٤٦٢.

«شهرية صراط الإلكترونية»
إيران – طهران
ص. ب: ١٤١٥٥-٨٣٤٧
فاكس: +٩٨٢١٦٦٤٥٩٠٢٣

البريد الإلكتروني:
email: mouoodasr@gmail.com

المواقع:
www.mouood.org
https://www. facebook.com/mouood.org

الفهرس

منوعات

عوالم الإنسان ومنازله: تفسخ البدن / ٤
الشعر والأدب: هل المحرم فاستهل مكبرا / ٦
وظيفة الدين في الحياة: مفهوم الدين عند علماء الغرب / ٨
معجزات القرآن: فتح مكة / ١٠

الدراسات الثقافية

الفكر، الثقافة و الأدب، الحضارة: معنى الحضارة و مكانتها / ١٢
بين احقاد التبشير وضلال الاستشراق - الاستشراق وأضاليله...: دراسة ذاتية عن بعض المستشرقين... / ١٣
خفض أضرار الإعلام والفضاء الافتراضي داخل الأسرة: آليات تعزيز تحمّل المسؤولية / ١٦
فرسان الهيكل وأسس الماسونية - الأسس والمبادئ الفكرية والعقائدية للماسونية: الماسونية وتعاليم الكابالا / ١٧
البيت والآسرة: تقوية محبّة امير المؤمنين علي عليه السلام / ٢١

الدراسات المهدوية

دعوي السفارة: حركات ونهضات رايات سنة الظهور / ٢٤
التعاليم المهدوية - أسس الانتظار ووظائفه: المجتمع الموعود نموذج المجتمع المثالي / ٢٦
إلى اللامتناهي - التوجّه والتقرّب والتوحيد: التولّي والتبرّي، شرط الدخول إلى الحصن المنيع / ٢٩
الامام المهدي عجل الله فرجه و مستقبل العالم: كيف نغير الغفلة في المجتمع إلى ثقافة الاضطرار إلى حجّة اللّه؟ / ٣١
تكاليف الأنام في غيبة الإمام عجل الله فرجه: النصيحة للامام عجل الله فرجه / ٣٣

الحياة الإيمانية

المستبصرون: كليم اللّه محمّد نواز / ٣٦
الحقوق الاجتماعيه في الاسلام - أنواع الحقوق العامة: حق المساواة وحق التمتع بالعدل / ٣٨
على مائدة الكتاب والسنّة - الوحدة حول مائدة الكتاب و السنّة: بعض صفات اللّه... (٢) - أنّ لله يداً / ٣٩
حلية المتّقين: آداب لبس الثياب الجديدة و الدعاء عند اللبس / ٤١
الولد و الوالد: وصايا الآباء للابناء: وصايا لقمان - القسم الاوّل / ٤٢

الدراسات الشيعية

الحياة الفكريه و السياسيه لائمه اهل البيت عليهم السلام: مدخل دراسة، تعوزه الفهرسة / ٤٤
المقام الغيبي في الامامة - الامامة في القرآن الكريم: آيات الإمامة: من الشهادةِ التكوينية إلى الكتاب المبين / ٤٠

تفسخ البدن

هل يتأذى البدن من ضيق القبر ويشعر بالديدان؟

إن ما يشير إليه جملة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، وكذلك ما تشير إليه جملة من المشاهدات والمكاشفات، بل وفي العلوم الحديثة في الغرب، هو أنه ليس هناك انقطاع كامل بين الروح والبدن بعد الموت، بل هناك درجات من العلقة تبقى مستمرة بين الروح وبين الطينة الأصلية في البدن. وهذا البدن لا ريب أنه تتوارد عليه التغييرات وتتبدل الخلايا ربما كل سبع سنين كما يثبتها العلم الحديث، ولكن هناك أنواع من الطينة الأصلية الباقية، وهي مادة طاقية أو مادة لطيفة أثيرية، يروق لبعض علماء الروح المحدثين التعبير عنها بمادة «الاكتوبلازم»، وهي مادة بيضاء بخارية كما يعبر عنها في الكثير من المشاهدات. وقد ورد في الروايات أن طينة الإنسان الأصلية في بدنه الدنيوي تسيخ في التراب ويبقى التراب حافظاً لها.

بقاء مادة في البدن تشعر وتتأثر

يبقى من البدن مادة يحتمل تطابقها مع ما يذكر الآن في العلوم الحديثة، وهي المادة الاكتوبلازمية أو المادة الطاقية، وسواء كانت هذه المادة أو ألطف منها، فللروح تعلق بها ويتم لها شعور بالمادة الترابية. والمقصود أن هذه المادة تبقى آلة للروح من البدن، والانفصال لا يكون كاملاً بين الروح والبدن، بل تبقى علقة وعلاقة بين الروح ومادة البدن. وهنالك شواهد عديدة في الروايات المتواترة على بقاء تلك العلقة، ومن ثم فإن الميت عندما يزوره الزائر، أو بعد مئات وآلاف السنين، يشاهد من يزوره ويسمع ويحدث نوع من التلاقي.

فقد روي عن **إسحاق بن عمار** عن أبي الحسن عليه السلام قال:

قلت له: المؤمن يعلم بمن يزور قبره؟ قال: «نعم، ولا يزال مستأنساً به ما دام عند قبره، فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة.»[1]

وذلك مما يدل على أن مثوى البدن وما فيه من الطينة الأصلية للإنسان تبقى الروح ذات علقة به، حتى بعد صيرورة العظام رميماً، وحتى بعد تفسخ وتبدد البدن إلى تراب. فالطينة الأصلية تبقى وتسوخ وتتفشى وتحتفظ بنوع من الكينونة، وهذه الكينونة لا تستطيع الأجهزة الحديثة أن ترصدها لأنها لا تستطيع رصد أكثر الطاقات الدنيوية. فمادة الاكتوبلازم مثلاً – وإن لم نجزم بأنها هي الطينة الأصلية – إلى عقود قريبة لم يستطيعوا رصدها إلا بعد استحداث أجهزة جديدة. وإذا كان هذا بعد مضي حقب من موت الإنسان وتبدد أوصاله، فكيف بالإنسان في بداية حالة موته وبعد نزع روحه بدقائق أو ساعات؟ لا ريب أن العلقة تكون وثيقة موجودة.

تأثير رش الماء وتربة سيد الشهداء على البدن

لكل هذا تأثير، حتى وضعية البدن، وكيفية الدفن، وكيفية الغسل. ففي بيان كيفية علاقة الروح بعد الموت بالبدن، نجد أن النوم منزلة من الموت، كما في قوله عليه السلام: «**كما تنامون تموتون، وكما تستيقظون تبعثون**»، وكما في الآية الكريمة: «**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**». ففي الحالة المنامية، قد يشاهد الإنسان أن ضيقاً في موضع البدن أو ثقلاً معيناً ينعكس على الروح نفسها، كالكابوس الروحي. فالحالات التي تطرأ على البدن تنعكس تلقائياً على الروح سلباً أو إيجاباً.

ومن ثم وصلت توصيات كثيرة في آداب الاحتضار وآداب حمل الميت وآداب تغسيله وآداب دفنه، فقد ورد في الروايات أنه لا يوضع ثقل على بطن الميت أثناء الاحتضار ولا أثناء التغسيل لأن هذا يجهد الميت، كما أن لمس أعضاء المحتضر يوجب نوعاً من الشدة، لأن نزع الروح حالة من الشدة، فإذا وجد مؤثر خارجي ضاغط كانت شدته على الميت أكثر.

استمرار هذه الآداب وأثرها إلى يوم القيامة

هناك جملة من الروايات تقول أن هذه الحالات تبقى، وأن الموتى يئنون ويعانون مع كون أبدانهم رميمة في تلك القبور، ولكنهم يتأذون لو جعلت مزبلة قريبة من قبورهم، أو كنيف وبالوعة من القاذورات قريبة من مثاويهم، وذلك لكرامة القبور والمأوى، ولا سيما إذا كانوا من الأولياء والخلص الذين تبقى أبدانهم طرية.

فالطينة الأصلية التي تسوخ في التراب، وإن لم تشاهد في الحس، تبقى للروح مرتبة من الشعور بتلك الطينة. فمن آداب تجهيز الميت أنه عندما يغسل، لا يدخل الماء في منخريه أو أذنيه، فإن ذلك يوجب الصمم في الميت، مما يدل على أنه تبقى آلية البدن لبعض أنشطة الروح على حالها في الأيام الأولى من الموت. وقد ورد عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام:

«لا تفدح ميتك بالقبر، ولكن ضعه أسفل منه بذراعين أو ثلاثة ودعه يأخذ أهبته.»[2]

فإنه مقبل على بيت جديد وهول عظيم، فهذا نوع من التهيئة النفسية. والروح وإن كانت في موضع، إلا أنها تشاهد ما يجري على البدن، كما لو أراد السامع أن يتمثل أنه في حالة منامية ويشاهد بدنه.

الهوامش:

١. «الكافي»، ج ٣، ص ٢٢٨.

٢. المصدر السابق، ص ١٩١.

المصدر: السند، الشيخ محمّد، «عوالم الإنسان و منازله، العقل العملي و قضاياه»، بيروت، دار الاميرة، الطّبعة الأولى، ٢٠١٠م.

قصيدة غراء في وقعة العاشوراء قلما يوجد لها نظير و الشاعر هو **شهاب الدين بن معتوق الموسوي الحويزي** شاعر عربي بليغ، ولد في مدينة «البصرة» عام ١٠٢٥هـ. و توفي عام ١٠٨٧هـ.

هل المحرم فاستهل مكبرا
وانثر به درر الدموع على الثرى
وانظر بغرته الهلال إذا انجلى
مسترجعا متفجعا متفكرا
واقطف ثمار الحزن من عرجونه
وانحر بخنجره بمقلتك الكرى
وانس العقيق وأنس جيران النقا
واذكر لنا خبر الصفوف وما جرى
واخلع شعار الصبر منك وزر من
خلع السقام عليك ثوبا أصفرا
فثياب ذي الأشجان أليقها به
ما كان من حمر الثياب مزررا
شهر بحكم الدهر فيه تحكمت
شر الكلاب السود في أسد الشرى
لله أي مصيبة نزلت به
بكت السماء لها نجيعا أحمرا
خطب وهى الإسلام عند وقوعه
لبست عليه حدادها أم القرى
أو ما ترى الحرم الشريف تكاد من
زفراته الجمرات أن تتسعرا
وأبا قبيس في حشاه تصاعدت
قبسات وجد حرها يصلي حرا
علم الحطيم به فحطمه الأسى
ودرى الصفا بمصابه فتكدرا
واستشعرت منه المشاعر بالبلا
وعفا محسرها جوى وتحسرا
قتل الحسين فيا لها من نكبة
أضحى لها الإسلام منهدم الذرا
قتل يدلك إنما سر الفدا
في ذلك الذبح العظيم تأخرا
رؤيا خليل الله فيه تعبرت
حقا وتأويل الكتاب تفسرا
رزء تدارك منه نفس محمد
كدرا وأبكى قبره والمنبرا
أهدى السرور لقلب هند وابنها
وأساء فاطمة وأشجى حيدرا

ويل لقاتله أيدري أنه
عادى النبي وصنوه أم ما درى
شلت يداه لقد تقمص خزية
يأتي بها يوم الحساب مؤزرا
حزني عليه دائم لا ينقضي
وتصبري مني علي تعذرا
وا رحمتاه لصارخات حوله
تبكي له ولوجهها لن تسترا
ما زال بالرمح الطويل مدافعا
عنها ويكفلها بأبيض أبترا
ويصونها صون الكريم لعرضه
حتى له الأجل المتاح تقدرا
لهفي على ذاك الذبيح من القفا
ظلما وظل ثلاثة لن يقبرا
ملقى على وجه التراب تظنه
داود في المحراب حين تسورا
لهفي على العاري السليب ثيابه
فكأنه ذو النون ينبذ بالعرا
لهفي على الهاوي الصريع كأنه
قمر هوى من أوجه فتكورا
لهفي على تلك البنان تقطعت
لو أنها اتصلت لكانت أبحرا
لهفي على العباس وهو مجندل
عرضت منيته له فتعثرا
لحق الغبار جبينه ولطالما
في شأوه لحق الكرام وغبرا
سلبته أبناء اللئام قميصه
وكسته ثوبا بالنجيع معصفرا
فكأنما أثر الدماء بوجهه
شفق على وجه الصباح قد انبرا
حر بنصر أخيه قام مجاهدا
فهوى الممات على الحياة وآثرا
حفظ الإخاء وعهده فوفى له
حتى قضى تحت السيوف معفرا
من لي بأن أفدي الحسين بمهجتي
وأرى بأرض الطيف ذاك المحضرا
فلو استطعت قذفت حبة مقلتي
وجعلت مدفنه الشريف المحجرا
روحي فدى الراس المفارق جسمه
ينشي التلاوة ليله مستغفرا
ريحانة ذهبت نضارة عودها
فكأنما بالترب تسقي العنبرا
ومضرج بدمائه فكأنما
بجيوبه فتت مسكا أذفرا
عضب يد الحدثان فلت غربه
ولطالما فلق الرؤوس وكسرا
ومثقف حطم الحمام كعوبه
فبكى عليه كل لدن أسمرا
عجبا له يشكو الظماء وإنه
لو لامس الصخر الأصم تفجرا
يلج الغبار به جواد سابح
فيخوض نقع الصافنات الأكدرا
طلب الوصول إلى الورود فعاقه
ضرب يشب على النواصي مجمر
ويل لمن قتلوه ظمآنا أما
علموا بأن أباه يسقي الكوثرا
لم يقتلوه على اليقين وإنما
عرضت لهم شبه اليهود تصورا
لعن الإله بني أمية مثلما
داود قد لعن اليهود وكفرا
وسقاهم جرع الحميم كما سقوا
جرع الحمام ابن النبي الأطهرا
يا ليت قومي يولدون بعصره
أو يسمعون دعاءه مستنصرا
ولو انهم سمعوا إذا لأجابه
منهم أسود شرى مؤيدة القرى
من كل شهم مهدوي دأبه
ضرب الطلا بالسيف أو بذل القرى
من كل أنملة تجود بعارض
وبكل جارحة يريك غضنفرا
قوم يرون دم القرون مدامة
ورياض شربهم الحديد الأخضرا
يا سادتي يا آل طه إن لي
دمعا إذا يجري حديثكم جرى
بي منكم كاسمي شهاب كلما
أطفيته بالدمع في قلبي ورى
شرفتموني في زكي نحاركم
فدعيت فيكم سيدا بين الورى
أهوى مدائحكم فأنظم بعضها
فأرى أجل المدح فيكم أصغرا
ينحط مدحي عن حقيقة مدحكم
ولو انني فيكم نظمت الجوهرا
هيهات يستوفي القريض ثناءكم
لو كان في عدد النجوم وأكثرا
يا صفوة الرحمن أبرأ من فتى
في حقكم جحد النصوص وأنكرا
وأعوذ فيكم من ذنوب أثقلت
ظهري عسى بولائكم أن تغفرا
فبكم نجاتي في الحياة من الأذى
ومن الجحيم إذا وردت المحشرا
فعليكم صلى المهيمن كلما
كر الصباح على الدجى وتكورا

مفهوم الدين عند علماء الغرب

نريد أن نبيّن المفهوم الصحيح للدين، و نميّزه عن المفهوم الخاطئ الشائع بين الناس، لتكون دراستنا مبنية على الاساس السليم و المعنى الدقيق. و نقدم لذلك بالتعريف اللغوي.

تعريف الدين لغة

تتعدّد معاني الدين في اللغة، و أرى أنّ هذه المعاني تنحصر في ايجاد علاقة بين طرفين، الطرف الاول يتمتع بالسلطان و القوة و الملك و الجبروت و الحكم و حق القهر و المحاسبة و المكافأة و المجازاة، و الطرف الثاني يقف في جانب الآخر بالخضوع و الطاعة و الذل و الإستكانة و العبادة و الورع، و العلاقة بين الطرفين هى الدين أو المنهج و الطريقة التي تحدد علاقة الاول بالثاني و بالعكس.

تعريف الدين اصطلاحاً

تعرّض علماء الاجتماع و الفلسفة و الاديان إلى تعريف الدين، و كانت أنظارهم متفاوتة، و اتجاههم متباينة، و يغلب على أكثرهم الفهم الضيق للدين، و النظرة الظاهرية له، دون أن يتعمّقوا في المدلول الشامل الصحيح للدين، أو يلحظوا الآثار العلمية له، و لذلك نلاحظ أنّ كلا منهم عرف الدين من وجهة نظره الخاصة، و نذكر هنا بعض تعريفات علماء الغرب للدين، ثمّ نبيّن الاستعمال الشائع الذى نتج عن موقف الغرب من الدين، لنصل إلى التعريف الصحيح للدين عند علماء المسلمين في قسمة الاخرى، و نخلص إلى بيان الخصائص و الميزات التى تتّسم بها العقيدة الدينية.

تعريف الدين عند الغربيين

ظهرت تعريفات كثيرة للدين في الغرب، و كانت تنطلق كلها من نظرتهم إلى الكنيسة الكاثوليكية و تاريخها في العصور الوسطى، و موقفها من الملوك و الحكّام و الإقطاع و الرق و الحروب و الحجر على العلم و الاكتشافات، ثم موقف الثورة الفرنسية و ما تبعها من الكنيسة و رجال الدين و الأفكار الدينية، ثم تبنى العلمانية و محاربة الدين و طرد رجال الدين الذين كانوا يمثلون السلطة الروحية و المادية العليا، و يوجهون السياسة و التشريع و القضاء في العهد السابق.[1]

و من خلال هذه الصورة ظهرت التعريفات المتباينة عن الدين، و هي تعريفات كثيرة جداً نقتصر على ثلاثة نماذج منها:

١. يقول **جويره** في كتاب «لا دينية المستقبل»:

الديانة هو تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الانسانية، و

الشعور الدينى هو الشعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى يركّزها الإنسان البدائى في الكون.

فهذا التعريف يمثّل النموذج الذي ينكر جوهر الدين في وجود الخالق المبدع، أو الإله المعبود، و يتّجه إلى الاستخفاف و الاستهزاء و السخرية من الدين، و دنّه تصور مثالي للانسانية، أو اختراع لمشيئات من العقل البدائي، و يتفق مع أوجست كونت الذي يرى أنّالعقلية الانسانية مرّت بثلاثة أدوار، هي: دور الفلسفة الدينية، ثم دور الفلسفة التجريدية، ثم دور الفلسفة الواقعية، فجعل التكفير الديني يمثّل الحال البدائية التي تخلّت عنها البشرية إلى ثلاث مراحل سيكولوجية: الأولى مرحلة الخرافة، و الثانية مرحلة التدين، و الثالثة و الأخيرة هي مرحلة العلم.[2]

٢. يقول **شلاير ماخر** في «مقالات عن الديانة»: **قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة و التبعية المطلقة.**

و هذا التفسير نفسي محض، يصوّر في الذات الإنسانية، و أنّها تتطلع إلى الكمال، و لذلك فإنّه يعرف جانباً بسيطاً من الدين، ولكنّه يتنكر لوجود المعبود، و يتجاهل حقيقة الدين و أثره في النفوس و العقول، و وظيفته في التشريع و الاخلاق.

٣. يقول الأب **شاتل** في كتاب «قانون الإنسانية»: **الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله، واجباته نحو الجماعة، و واجباته نحو نفسه.**

و هو أرقى تعريف للدين عند علماء الغرب، و هو يمثل طبيعة الدين النصراني بعيْ انحسار الكنيسة عن الحياة و السلطة، و تحديد معمّتها في أماكن العبادة، و أنّ وظيفتها تنحصر في صلة الانسان بربّه من الناحية الروحية، و صلته بالمجتمع من الناحية الخلقية.

و هذه التعريفات الثلاثة تنّل وجهات النظر الرئيسية للدين في الغرب، فالقسم الاول ينكر الدين و الإله أصلاً، و القسم الثانى يلجأ إلى الدين عند الحاجة و الضرورة، و في حالات الضعف و المرض، و العجز و قصور العقل و النفس عن تعليل حوادث الكون، و القسم الثالث يفهم الدين من الناحية الروحية و الخلقية، و هو أسمى مظهر للتديّن عندهم و هو ما يدفعنا لبيان المعنى الشائع عن الدين.

الاستعمال الشائع للدين

ظهر في الغرب على ألسنة و أريباللام المتديّنين معنى خاص للدين، و هذا المعنى إمّا أن ينظر إليه من جهة الشخص المتديّن، و إمّا أن ينظر أليه كظاهرة اجتماعية، فقالوا:

الدين هو الحالة النفسية و العقلية و الوجدانية التى يتّصف بها شخص معين، و نسميها التدين، أو هو مجموعة المبادئ، و القيم التي تدين بها أمّة أو جماعة اعتقاداً أو عملاً، و تظهر في كتب و مراجع و روايات، و تتمثل في عادات خارجية و آثار اجتماعية.

و أصبح المقصود بالتربية الدينية عندهم تربية العواطف و المشاعر التي تبعث في نفس المتدين احترام الطقوس الدينية، و المشاركة في المناسبات الدينية، و الاحترام لرجال الدين و شعائره و التردّد على أماكن العبادة، و التبرّع بشيء من المال، و القيام ببعض الحركات و المظاهر، و النطق ببعض الألفاظ و العبارات، و من يفعل ذلك فهو المتديّن العظيم، و التقيّ الصالح، و الورع المقرّب، دون أن تتصل هذه الصفات بحياته و أعماله و قوانينه.

و هذا الاستعمال الشائع يظهر على ألسنة من يدّعى التديّن، و يستخدمه أعداء الدين لتقييد مجال الدين و تحديد مفهومه، و الدافع إلى تناوله بالذكر أنه تسرّب إلى وطننا، و انتشر بين أبناء أمّتنا، و استخدم سلاحاً في وجه الدعوة و الدعاة، و تستمر المحاولات الخبيثة لفرضه على الإسلام و المسلمين معاً.

و إذاكان هذا الإستعمال صحيحاً و صادقاً على الدين المسيحى في الغرب، و قد يتّفق مع النصرانية التى تفقد التشريع و النظام في أصولها، فإنّ الخطأ فيه يظهر من ناحيتين:

١. محاولة تعميم هذا الاستعمال الخاص على الدين بمعناه العام، و أنّه شامل لجميع الأديان السماوية و الديانات الأرضية، مع الاختلاف الواسع بين هذه الديانات، و البون الشاسع بين حدود كل منها.

٢. التعمّد في نقل و استيراد هذا المفهوم لتطبيقه على أمّتنا و أبناء جلدتنا، و فرضه على ديننا الحنيف، و السعي بجد و نشاط على إرغام الإسلام على ارتداء هذا اللباس الضيق القصير، ليبقى الدين في إطار المسجد، و في حدود الأخلاق، و في منطقة الشعور و الوجدان و الضمير، دون أن يكون له أثر في الحياة، أو تطلّع إلى الأمام، أو مشاركة في التشريع.

الهوامش:

١. انظر: «دراسات في النفس الانسانية»، ص ٢٢٨؛ «الدين و الحضارة الانسانية»، الدكتور محمّد البهى، ص ١٠.

٢. «الدين»، ص ٨٥؛ «شبهات حول الاسلام»، ص ٩.

المصدر: محمّد الرخيلى، «وظيفة الدين في الحياة و حاجة الناس إليها»، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ١٤٠١هـ، صص ١٦-٢٠.

فتح مكة

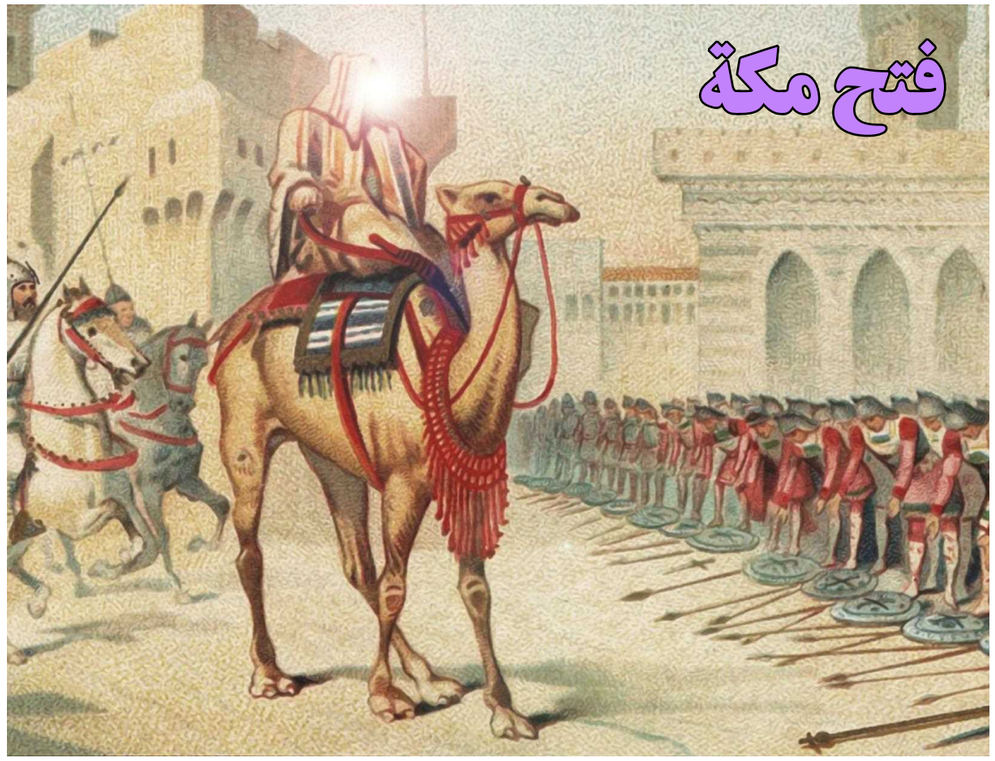

قال تعالى:

«لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً»[1]

***

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل «مكة» وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بـ «المدينة»، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلمّا وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفس بعض الصحابة من ذلك شيء، حتى سأل احدهم عنه في ذلك فقال له فيما قال: **أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟** قال: «**بلى. أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟**» قال: **لا**، قال النبي ﷺ: «**فإنك آتيه ومطوف.**» به وبهذا أجاب الصديق أيضاً، ولهذا قال تبارك وتعالى: «**لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ...**» هذا لتحقيق الخبر وتوكيده، وليس هذا من الاستثناء في شيء، وقوله عزّ وجلّ: «**آمِنِينَ**» أي في حال دخولكم وقوله: «**مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ**» حال مقدرة، لأنهم في حال دخولهم لم يكونوا محلقين و مقصرين، وإنما كان هذا في ثاني الحال، كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره. وقوله سبحانه وتعالى: «**لا تَخَافُونَ**» حال مؤكدة في المعنى، فأثبت لهم الأمن حال الدخول، ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد، لا يخافون من أحد، وهذا كان فيعمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع، فإن النبي لما رجع من الحديبية في ذي القعدة رجع إلى المدينة فأقام بها ذا الحجة والمحرم، وخرج في صفر إلى خيبر ، ففتحها الله عليه بعضها عنوة، وبعضها صلحاً، وقسمها بين أهل الحديبية وحدهم ولم يشهدها أحد غيرهم إلا الذين قدموا من «الحبشة» **جعفر بن أبي طالب** وأصحابه و **أبو موسى الأشعري** وأصحابه عنهم ولم يغب منهم أحد، ثم رجع إلى المدينة، فلما كان في ذي القعدة من سنة سبع خرج النبي ﷺ إلى مكة معتمراً، هو وأهل الحديبية، فأحرم من ذي الحليفة، وساق معه الهدي، قيل كان ستين بدنة، فلبي وصار أصحابه يلبون، فلما كان قريباً من «مر الظهران» بعث **محمد بن سلمة** بالخيل والسلاح أمامه، فلما رأه المشركون رعبوا رعباً شديداً، وظنوا أن رسول الله ﷺ يغزوهم وأنه قد نكث العهد الذي بينهم وبينه من وضع القتال عشر سنين، فذهبوا، فأخبروا أهل مكة، فلما كان في

أثناء الطريق بعثت قريش **مكرز بن حفص** فقال: **يا محمد ما عرفناك تنقض العهد**، فقال: «**وما ذاك؟**» قال: **دخلت علينا بالسلاح والقسي والرماح**، فقال: «**لم يكن ذلك وقد بعثنا به إلى يأجج.**» فقال: **بهذا عرفناك بالبر والوفاء**، وخرجت رؤوس الكفار من مكة لئلا ينظروا إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه عن غيظاً وحنقاً.

وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان، فجلسوا في الطرق وعلى البيوت ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فدخلها عليه الصلاة والسلام، وبين يديه أصحابه يلبون، والهدي قد بعثه إلى ذي طوى وهو راكب[2] التي كان راكبها يوم الحديبية، و**عبد الله بن رواحة الأنصاري** آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ يقودها وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله
إني شهيد أنه رسوله
خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقيله
نحن قتلناكم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

ثم قال تبارك وتعالى مبشراً للمؤمنين بنصرة الرسول ﷺ على عدوه وعلى سائر أهل الأرض: «**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ...**»[3] أي بالعلم النافع والعمل الصالح، فإن الشريعة تشتمل على شيئين: علم، وعمل. «**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**» أي على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض، من عرب وعجم، ومشركين و«**وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا**» أي أنه رسوله وهو ناصره.

وفي السنة الثامنة للهجرة من شهر رمضان المبارك، دخلت جيوش المسلمين مكة بلامقاومة، وتم فتح البلد الأمين بلا قتال، ودخل النبي ﷺ على ناقته، لا كما يَدخلُ الفاتحون في كبريائهم وجبروتهم بل دخل خاشعاً متواضعاً، مكباً على رحل ناقته، يكاد راسه يلمس الرحل، شكراً لله تعالى على ما أنعم به من هذا الفتح المبين، وما منّ به من هذا الفضل الكبير، ولم يزل عليه الصلاة والسلام يقرأ «سورة الفتح»، حتى انتهى إلى الكعبة ومعه المسلمون، فاستلم الركن بمحجنه[4] وكبّر، فكبر المسلمون بتكبيره، حتى ارتجت لتكبير هم أرجاء مكة، ثم طاف بالبيت سعياً على ناقته، وهو في كل طوقةٍ يستلم الحجر الأسود بمحجنه حتى أتم طوافه، ولما فرغ من طوافه نزل عن راحلته، ثم انتهى إلى المقام فصلّى فيه ركعتين، ثم انصرف إلى «زمزم» فشرب منها وتوضّا، والمسلمون حوله يفعلون فعله، والمشركون ينظرون ويعجبون لما يرون من هذا ويقولون: **ما رأينا ملكاً أبلغ من هذا ولا سمعنا به...**

الهوامش:

١. سورة الفتح، الآية ٢٧.
٢. ناقته القصواء.
٣. المصدر السابق، الآية ٢٨.
٤. عصا قصيرة.

المصدر: يوسف الحاج احمد، «موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة المطهّرة»، مكتبة ابن حجر، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.، صص ٢٢-٢٤.

على الرغم من ان تعاريف كثيرة قدمت عن «الحضارة» او «المدنية» واثيرت تعليقات حولها بمقتضى نوع الرؤية الى المسائل الثقافية، لكن يجب التاكيد على ان «الحضارة» تمثل الوجه الصوري والمادي لحياة الانسان على الارض. وهي مصداق خارجي وموضوعي للثقافة وكل قناعات ومعتقدات شعب ما في اطار علاقاته المادية.

وبرغم ان بناء المدن والسكن واللباس والتعامل والتبادل التجاري وباقي العلاقات الانسانية، لها وجه اخلاقي وثقافي، لكن وجهها الخارجي يستحدث «حضارة» شعب ما. الحضارة التي تحتضن بداخلها كل خصائص وميزات النظام الاخلاقي والثقافي لذلك الشعب.

ومن الناحية القيمية، وفي ظل مكانة الصورة المادية للحياة فان «الحضارة» يمكن دراستها في ذيل «الثقافة» وتقع بعد الفكر والثقافة. بحيث ان جسم الانسان متأثر بمتنياته ورغباته النفسانية، وان ايا من اعماله وسلوكياته، تظهر جانبا من تلك التمنيات.

إن الطوب والقرميد والطين هي مواد فحسب يصنع منها هيكل معين على يد بناء بارع. لكن المعمار هو الذي رسم في صفحة ذهنه شكل وتصميم البناء بناء على انطباعه عن الكون والثقافة التي يعيشها. ولا يفرق ان كان المعمار ومصمم المدن او مصصم الازياء، فهم يعرضون ما يكنونه بباطنهم اثناء ابراز قدراتهم وابداعهم. لذلك فانه عندما تصبح ثقافة ما شاملة وعارمة وتسود اخلاق خاصة قوما ما، فان جميع مكونات الحضارة تنطق سوية. فالمعمار يكرر ما تنطق به المدن وكلاهما يسايران نوع اللباس والخ. لنلقي نظرة على الحضارة المعاصرة، الا نسمع صوتا موحدا ونغمة متجانسة تنبعث من المدن الحديثة والشقق الفخمة والملابس الفاخرة والسيارات الفارهة وباقي الادوات والاشياء التي يستخدمها الانسان؟! والا تشبه المباني القديمة المتبقية من العصور السالفة او التقليدية المنتمية الى الحضارة الغابرة، آلة موسيقية تعزف نغمة مختلفة وتحدث تعارضا في الوضع القائم؟! ويدرك الجميع هذا التعارض. وهذا التعارض وقبل ان يكون متعلقا بشكل البناء، يعود الى الوجه الثقافي، وهذا التعارض الثقافي الجوهري هو الذي يسبب ازمة على صعيد التاريخ.

و في مطلق الاحوال يجب القول بان الحضارة هي الوجه المادي لحياة الانسان. والثقافة هي الروح التي تنفخ في جسد الحضارة لتبعث فيه الحركة.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «الفكر، الثقافة و الأدب، الحضارة»، طهران، موعود العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، الطّبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.ق./ ٢٠١٤م.

دراسة ذاتية عن بعض المستشرقين ودورهم في محاربة الإسلام والنيل من قيمه ومبادئه

١. هاملتون جب

عمل **هاملتون جب** في دوائر الاستعمار، وكان من أبرز المستشرقين الإنجليز الذين يخدمون أهداف الاحتلال البريطاني وقد عرف بقيادة أخطر حركة من حركات الاستشراق، وهي حركة التغريب التي تولى إعداد دراسة خطيرة عنها مع أربعة من المستشرقين تناولت العالم الإسلامي كله، في محاولة لفحص مدى ما وصلت إليه محاولة تغريب الإسلام والمسلمين، وقد طبع هذا الكتاب وترجم إلى اللغة العربية تحت اسم «وجهة الإسلام».

وتناول الوسائل التي تعمل على احتواء الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي، وركز على التبشير في مدارس الإرساليات، وتأثير الاستعمار في مناهج المدرسة الوطنية، وأشار إلى الدور الخطير الذي تقوم به الصحافة، وكيف يتقدم على قيادتها العلمانيون والمتفرنجون، وأولياء الثقافة الغربية حتى تظل تؤدي عملها الخطير. وأشار إلى الدور الذي قام به التغريب في تنحية الإسلام عن عرشه من حيث هو قوة اجتماعية تسود الحياة، وتوجهها، وكيف أن القوانين الوضعية الغربية عملت على تقليص ظل الشريعة الإسلامية في مجال الحياة والمجتمع.

وأشار إلى التصدع الذي أصاب الجامعة الإسلامية والوحدة التي كانت تؤلف بين وحدات المجتمع الإسلامي بعد سقوط الخلافة التي كانت تعد حجر الزاوية في بناء هذه الوحدة، وإن كان جب قد أشار إلى أن زوال الخلافة لم ينل من وحدة المجتمع الإسلامي.

ومن أخطر السموم التي أثارها جب في كتابه «بنية الفكر الديني في الإسلام» هو ادعاؤه بأن الإسلام جاء ليضفي الصفة الدينية على تلك الإحيائية العربية القديمة التي نسجتها الأعراف، والبيئة، بعد أن لم يستطع محمّد صلى الله عليه وآله التخلص منها، ويقصد بالإحيائية: تلك العقائد الروحية الخرافية كالإيمان بالسحر والتنجيم والكهانة.

وقد عرف هاملتن جب بأنه واحد من المستشرقين الذين عرفوا بمنهج محدد، قوامه وضع فرضيات مسبقة يعبر بها عن غاية له، ثم ينطلق فيبحث لها عن شواهد وأدلة ويجعل طرائق بحثه كلها خاضعة لسلطان تلك الفرضيات، وإن جب كما يقول الدكتور **البوطي**:

وضع أمام القارئ جملة من الدعاوى والمزاعم العجيبة بأسلوب من التقرير الثابت، دون أن يمد بينه وبينها أي خيط أو شريان من المؤيدات أو البراهين العلمية... خلاصة هذه المزاعم أن بنية الفكر في الإسلام إنما هي معظم ما كان لدى العرب في جاهليتهم من العقائد الغيبية، والطقوس الشكلية النابعة عن عقيدتهم بالأرواح (الإحيائية العربية)، فقد تأمل محمّد صلى الله عليه وآله فيها فغير ما أمكن تغييره، ثم عمد إلى الباقي مما استعصى عليه التخلص منه فكساه حلة الدين، والإسلام. ثم لم ينس أن يدعم جملة هذه العقائد والرموز بهيكل من الأفكار، والمواقف الدينية الملائمة.

وهو قد سار (جب) إلى هذه الآراء من ثلاث:

أولاً: فرض أن محمّداً ﷺ لله لم يكن نبيا.

ثانياً: فرض أن ما كان لدى العرب من بقايا عهد **إبراهيم** عليه السلام إنما هو من مخترعاتهم وتقاليدهم التي ابتدعوها من أنفسهم.

ثالثاً: فرض أن الجان ليست إلا مخلوقات وهمية، وإن كل ما جاء عنها في القرآن والأخبار مجرد وهم.

وأنه في سبيل هذا الرأي الباطل نقل عبارة مغمورة من كلام طويل، ولا ريب أن الإسلام جاء في جوهره ثورة جارفة على كل إحيائية عربية كانت أو غير عربية قديمة، وأنه يجب التفرقة بين ما هو عادات اجتماعية، وما هو طقوس دينية.

وغير صحيح ما ذهب إليه جب من أن القرآن يعتمد على لغة الشعر، إذ إن «القرآن» يلح عن ناحيتين: ناحية العقل وناحية القلب، ويتحدث حديثاً موجهاً إلى العاطفة والعقل معاً، ولا ريب أن السحر والجن حقيقتان إسلاميتان فيهما، ولكن ذلك لا يعني خضوع المسلمين للسحر والجن. أما الحجر الأسود فهو رمز إسلامي ليس بمعبود لذاته قد سجل هذا المعنى **عمر بن الخطاب** حين قال: **إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع**.

وهو في دراساته عن الأدب العربي استعمل أسلوبه في انتقاص الفضل والغض من قدر الجوانب الإيجابية، وركز على الشعوبيين والزنادقة وشعراء الكشف، أمثال **بشار**، و**أبو نواس** و**الحلاج**، و**ابن عربي**، وحاول أن يصور اتصال الأدب العربي بالأدب الفارسي على أنه تأثير وتبعية.

٢. سنوك هورجرونجه

عمل **سنوك هورجرونجه**، مستشاراً بوزارة المستعمرات الهولندية في المسائل الإسلامية والعربية وقد استطاع أن يدخل «مكة» في زي طبيب عالم ويقضي بها خمسة أشهر... درس خلالها المجتمع العربي هناك بين وصول قوافل الحجاج ورجوعها. وفي عام ١٨٨٩م.، أصدر كتابه عن مكة في مجلدين وصف المجتمع العربي في مكة (الأسواق – العبيد – الأماكن المقدسة – البيوت –الأعياد).

كما درس الإسلام في جزائر «الهند» الشرقية وعين عام ١٩٠٧م.، مستشاراً في الشؤون الهندية والعربية لحكومة «هولندا»، وكتب عن سياسة هولندا إزاء الإسلام، وهو في خطته السياسية يريد أن يستبقي النفوذ الهولندي في بلاد «الملايو» أساساً، وعلى ضوء ذلك ينصح حكومته بالتخفيف من عمل جمعيات التبشير في تنصير المسلمين، ويحذر حكومته من أخطار التعصب، والاندفاع فيوصف بأنه من أقل المستشرقين تعصباً، غير أن النظرة الفاحصة لتقاريره وكتاباته تكشف عن خبيئته. يقول:

يجب على الحكومات الأوروبية التي استولت على بلاد الإسلام أن تجتهد في إظهار التناقض بين الإسلام والمدنية العصرية وإقناع ناشئة المسلمين بأنهما ضدان لا يجتمعان فلا بد من رفع أحدهما. ولما كانت المدنية الحاضرة هي نظام كل شيء ولا مندوحة عنها لمن يريد أن يعيش كان من البديهي أن الذي سيرفع من النقيضين هو الإسلام.

قال **شكيب أرسلان**:

هذا المستشرق الهولندي وكرومر (الإنجليزي) من قادة الاستعمار، يريدان إظهار عجز الإسلام عن امتصاص الأحكام العصبية، وإثبات كونه نظاماً قديماً قد بلي، ولم يعد صالحاً للحياة على أمل أن الفوج الجديد من المسلمين الذين لا غنى لهم عن الحياة المدنية ينبذون الإسلام وبنبذه تكون أوروبا قد تخلصت من أكبر خطر يحيق بها، وهو الحكم الشرعي الذي لا يجيز للمسلم أن يخضع لأمير لم يكن على غير دينه.

ولقد كانت محاولة سنوك دائماً ترمي إلى دعوة الدول الأوروبية المستعمرة أن تتفاهم وتتفق على موقف موحد تجاه الإسلام حتى لا يتم تضامن بين المسلمين. ويقول أحد مؤرخيه:

إنه هو وبيكر ومارتن وهارتمان يتفقون على العداوة للمسلمين، والتشكيك في ثورتهم على الإصلاح والتحذير من خطرهم على المستعمرات الأوروبية.

ومن أقواله:

إن الإسلام دين الكراهية، والحرب، ويجب أن لا نسمح له بالسيادة على العالم المتحضر.

ولا ريب أن الاستشراق الأمريكي هو امتداد للاستشراق الغربي، وإن كان في أغلبه استشراق صهيوني يهودي نتيجة سيطرة اليهود على مراكز البحث في الجامعات الهامة أمثال «كولومبيا» و«هارفارد» و«بريستون» و«ماتشجان»، وبروز عدد من المستشرقين الأمريكيين ذوي النحلة الصهيونية، أمثال **جوستاف فون جرونبوم**، و**فرانز زنتال**، و**فيليب حتي**. وهناك بعض المستشرقين المعتدلين أمثال **جورج سارتون** و**تشارلز ادمز**. وقد قام الاستشراق الأمريكي بإرسال بعثات أثرية إلى بلاد العالم العربي الإسلامي، وأبدت اهتمامها بحضارات آسيا وإفريقيا، ودياناتها.

ولا تخلو محاولات الاستشراق الأمريكي من العمل على احتواء الفكر الإسلامي، والتعليم والثقافة، وقد كان لها دورها القديم منذ إنشاء الجامعة الأمريكية في العالم العربي، وخاصة في «القاهرة» و«بيروت» و«استانبول».

٣. جوستاف فون جرونيوم

أما جرونبوم فإنه يدرس الإسلام من منطلق التفوق الغربي والحضارة الأوروبية. وتنتظم كتاباته مشاعر التعالي على الأجناس والشعوب الأخرى، وتدور دراسات جرونبوم في فلك واحد: هو إثبات فضل الحضارة الهلينية على الحضارة العربية الإسلامية، وهو حين يتحدث عن الإسلام يستعمل مصطلح «المحمّدية» لأنه لا يريد أن يعترف بالوحي... الرسالة، وينسب الإسلام إلى محمد ﷺ، ويمثل جرونبوم ذلك التيار الجديد الذي يحاول أن يرد نهضات الأمم إلى مصادر ثلاث: تاريخ الإغريق، وتاريخ بني إسرائيل، وتاريخ «روما». ويحاول جرونبوم أن يقيم نظريته على قاعدة أن «بغداد» وارثة للحضارة القديمة التي يمكن رد أغلبها إلى الفراعنة، والفينيقيين، وهم عرب أصلاً.

ويخطئ جزونبوم حين يحاول أن يرد تراث الإسلام إلى تعاليم المسيحية، واليهودية من ناحية العقيدة، والتاريخ الفارسي من ناحية المعرفة والتاريخ اليوناني من ناحية الفكر التجريدي، فإن الإسلام قد أقام فكراً جديداً على أساس التوحيد الخالص، يختلف بل ويتعارض مع مخلفات الفكر البشري، والوثني، والإباحي والمادي الذي كان معروفاً قبل ظهوره.

ولا ريب أن هذه المحاولة من جرونبوم. هي محاولة ضالة متعصبة... كما يقول **فاروق خورشيد** حيث يحوّل معطيات الحضارة الإسلامية إلى جزئيات صغيرة، ورد هذه الجزئيات إلى حضارات أخرى، وشعوب أخرى، بحيث يصبح كل ما في الحضارة الإسلامية مقتبس من الآخرين.

المصدر، الآية عبد الرحمن عميره، «الإسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ضلال الإستشراق»، بيروت، دار الجيل.

آليات تعزيز تحمّل المسؤولية

أشرنا في القسم السابق إلى أن موضوعات مختلفة تُطرح من أجل الوقاية وخفض أضرار الفضاء الافتراضي داخل الأسرة، أحدها سيادة القانون، وذكرنا أن استخدام الفضاء الافتراضي في أي أسرة، يجب أن يتم على أساس قوانين، يتقيد بها جميع أعضاء تلك الأسرة بمن فيهم الأبوان والأبناء، وألا يحيدوا عنها تحت أي ظرف، وأوردنا إيضاحات بهذا الخصوص. وأحد الموضوعات التي يوصى بها لخفض أضرار الفضاء الافتراضي داخل الأسرة هو تحمل المسؤولية، ونتطرق إليه فيما يلي:

آليات تعزيز تحمل المسؤولية

ومن أجل جعل الأبناء يتحملون المسؤولية، ثمة موضوعات يمكن تسليط الضوء عليها، ونقترح كذلك عدة قضايا:

أ. لا تستخفون أبدا بالأطفال، ولا تظنون أنهم غير قادرين على فعل أي شيء، بل ومن خلال إعطائهم المسؤولية في المنزل سترون أنهم قادرون على القيام بالكثير من الأعمال.

ب. تكليفهم تنفيذ أمور تكون طفيفة وسهلة ومتناسبة مع أعمارهم، وإن كان أبناؤنا، مراهقين، يجب أعطائهم المسؤولية بما تتلاءم مع أعمارهم.

ج. الأمور التي تُناط إليهم، يجب أن تكون متناسبة مع قدرة الطفل والمراهق على فهمها.

د. أثناء تكليف الأطفال والأحداث بالمسؤولية، يجب الاهتمام بفارق جنسهم الاجتماعي.

هـ. لا تستخدموا أبدا عبارة **أنت لا تقدر لذلك فاني سأنجز العمل بدلا عنك** بل يجب أن تقولوا **أنت قادر**.

و. لا تعاقبوهم إن بذلوا جهدا في تنفيذ المسؤولية، لكن لم تتحصل النتيجة المرجوة.

ز. على الأبوين مواكبة الأبناء في تنفيذ جانب من المسؤولية.

ح. وكما أسلفنا، فان الأبوين، يجب أن يكونوا نموذجا جيدا للأبناء.

ط. حددوا على وجه الدقة، ماذا تريدون من الأبناء أن يفعلوا وكيف.

ى. إن لم ينجزوا عملا ما بصورة صحيحة، لا نصلح العمل نحن بل نساعدهم على إصلاحه.

ك. يجب خلال تكليفهم المسؤولية، الانتباه إلى الثقة بالذات وعزة النفس لدى الأبناء وتعزيزهما.

وقال النبي الأكرم ﷺ:

«ألا كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيّته، والرّجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم.»

الهامش:

١. «صحيح مسلم» ج ٣، ص ١٤٥٩، ح ٢٠.

الماسونية وتعاليم الكابالا

فقد انتقلت «الكابالا» من «مصر القديمة» إلى «بني اسرائيل» وأدت إلى تلوث ديانة بني اسرائيل وانحرافها عن مسارها الحقيقي تدريجيا.

وانتقلت تعاليم الكابالا إلى أوروبا مع انتقال فرسان الهيكل (وعقب بحوثهم في الهيكل) وأثرت على الإنطباعات النظرية للاوروبيين. وبما ان تعاليم الكابالا تعتبر الإنسان غير مخلوق وأبدي، فان العديد من المصادر ترى أن «الكابالا» تشكل أساسا لنشأة المذهب الانساني.

ويقول ملاكاي مارتين،[١] مؤلف كتاب «مرشد هذا العرق» والذي هو استاذ مادة التاريخ في «مؤسسة دراسات الكتاب المقدس» التابعة لجامعة الفاتيكان الاسقفية، حول أثر ونفوذ الكابالا بين الإنسانويين: وقد تأسست في المناخ غير العادي والغامض لمطلع عصر النهضة في ايطاليا، شبكة من الجمعيات الإنسانوية للتهرب من المراقبة العامة للنظام الحاكم. إن هذه الجمعيات التي كانت تتابع هكذا أهداف، إضطرت للعمل خفية، وكان ذلك ضروريا، في مستهل العمل، على الأقل، لكن المجموعات الإنسانوية كانت تتميز بمواصفتين أخريين غير التخفي والعمل السري، الأولى، أنها كانت تعاكس التفاسير القائمة عن الكتاب المقدس والتي كانت تدعمها الكنيسة وأولياء الأمور، والثانية، كانت تعارض أسس الكنيسة في مجال الفلسفة والتوحيد والتي كانت أخذت بنظر الإعتبار للناس والشؤون السياسية...

ولم يكن الامر مثيرا للإستغراب أن تتابع هذه الجمعيات في ضوء هكذا عناد مع الرسالة الرئيسية للكتاب المقدس والوحي الإلهي، مفاهيمها الخاصة بها. إن ما كان يسميه هؤلاء، العلم السري بالكامل والعرفان، إستقوه إلى حد ما من الأعراق الطائفية والرمزية في «شمال افريقيا» و «مصر» وإلى حد ما من الكابالا التقليدية لليهود. وقام الإنسانويون الإيطاليون بتكرير الكابالا. فقد أحيوا مفاهيم الرموز الروحانية والعرفانية وهبطوا بها إلى مستوى دنيوي تماما. إن العرفان الخاص الذي كانوا يبحثون عنه، كان علما سريا يستخدم للسيطرة على القوى الطبيعية الخفية، بغية نيل الأهداف الإجتماعية والسياسية.[٢]

إن الجمعيات الإنسانوية التي كانت تسعى لإيجاد بديل للثقافة الكاثوليكية الأوروبية، وتمهد عن طريق ذلك، السبيل لإدخال تعديلات اجتماعية وسياسية، لجأت إلى التعالم الكابالائية المتبقية.

ويقول البروفيسور مارتين:

وكان مؤسسو الجمعيات الإنسانوية الجديدة، أنصار القوى الكبرى – مهندس الكون الأعظم – الذي كانوا يسمونه يهوه المقدس... وقد اقتبسوا [الإنسانويون] العلائم الأخرى – الهرم والعين – من المصادر المصرية أصلا.[٣]

والملفت أنهم كانوا يستخدمون مفهوم مهندس الكون الأعظم، المصطلح الذي مازال الماسونيون يستخدمونه لهذا اليوم. وهذا الأمر يظهر أنه يجب أن يكون هناك تواصل بين أنصار المذهب الانساني والماسونية.

ويقول البروفسور مارتين:

وبالمناسبة، فقد حصل تحالف مهم في المناطق الشمالية مع الإنسانويين لم يكن يتصوره أحد. وفي عقد ال١٣٠٠ للميلاد، حيث كانت الجمعيات الإنسانوية ترسم توجها لها، كانت ثمة جمعيات قرون وسطائية متبقية من قبل، في بلدان بما فيها بريطانيا واسكتلندا وفرنسا. ولم يكن أحد يتوقع في عقد ال١٣٠٠ للميلاد، إن يحصل إتحاد بين أفكار جماعة الماسونيين والإنسانويين الإيطاليين...

وقد خرجت الماسونية الحديثة من تبعية مسيحية روما، وبدا مرة أخرى ضروريا الرغبة في إتباع السرية بسبب الظروف والأوضاع.[٤]

إن الماسونية وإستنادا إلى تعاليم الكابالا، والإنطباع الخاص الذي كانت تبديه تجاه خالق الكون والوجود، أوجدت توجها إنسانويا تجاه العالم. وكان إنطباعهم عن خالق الكون والله المتعال، يختلف أصلا عما كانت تتحدث عنه الديانات التوحيدية.

وقد أحلت الماسونية، بمكر وحيلة، مصطلح مهندس الكون الأعظم، محل الله البارئ الحكيم والعالم للكون. وثمة كتاب لمؤلفه أحد كبار الماسونيين الأتراك ويدعى سلام ايشينداغ بعنوان «إستلهامات من الماسونية» وقد وضع الكتاب لتدريب وتعليم الماسونيين الشبان.

ويقول بشأن إعتقاد الماسونيين بمهندس الكون الأعظم:

«إن الماسونية لا تنكر الله، لكن المفهوم الذي تقبلته بشأن الله، يختلف عما هو سائد في الأديان. إن إله الماسونية، هو كمال أعلى ويصل إلى قمة الكمال. إننا قادرون من خلال تأنيب باطننا واعتماد الذكاء والتقوى، تقليص الهوة بيننا. إن هذا الإله، لا يتمتع بالخصال الطيبة والسيئة للإنس، ولا تضفى عليه الشخصية، ولا يعد مرشدا للطبيعة أو الانسان. إنه، مهندس الكون الأعظم. إنه مجمل مخلوقات العالم، أي القدرة الكلية والطاقة التي تحيط بكل شئ. ومع ذلك، لا يمكن قبول أنه كان نقطة البداية... إن هذا الموضوع يمثل لغزا كبيرا.

ومع إمعان النظر في ذلك الكتاب، يتضح أنه عندما يتحدث الماسونيون عن مهندس الكون الأعظم، فانهم يقصدون، الطبيعة.

إنهم يعبدون الطبيعة:

«إن أي سلطة، سوى الطبيعة، ليست مصدر أفكارنا ونشاطاتنا...»

إن أسس ومعتقدات الماسونية، هي حقائق علمية، مبنية على الدعائم والأسس العلمية وأن سلطة الطبيعة هي جزء منها. لذلك، فان الحقيقة التامة، هي التكامل ذاته والطاقة التي تحيط بالطبيعة».[٥]

إن طرد اليهود من «اسبانيا» و«البرتغال» عامي ١٤٩٢ و ١٤٩٧ للميلاد، أدى إلى هجرة الكابالائيين وتعاليم الكابالا من هذه المناطق إلى شمال افريقيا وايطاليا ولوزان وتوسيع الكابالا فيها. ومذاك، تحولت الكابالا إلى أحد أكثر التعاليم المعنوية أثرا في حياة اليهود بالقرن السادس عشر.

وقام معلم إيطالي من أنصار المذهب الانساني في القرن السادس عشر ويدعى بيكو دلا ميراندولا،[٦] **بترجمة نصوص القبالة [الكابالا] إلى اللاتينية. وتحولت ترجمته إلى أهم مصدر إستخدمه لوضع رسالة أعتبرت أول نص كابالائي مستحدث على يد مسيحي...**

إن يوهان روشلين[٧] **الذي تعلم حكمة القبالة بطريقة وأسلوب بيكو، قدم في كتابه بعنوان «حكمة الكابالا»**[٨] **إلى شعوب أوروبا أولى التفاسير المسيحية المكتوبة.**

وفي مطلع القرن الخامس عشر، قام عرفاء بمن فيهم فيتربو[٩] **و فرانسيسكو جيورجيو**[١٠] **بتطوير الرؤى المسيحية والفلسفية الكابالائية في رسائلهم المعتمدة. وقد بلغ التأويل السحري للقبالة في كتاب فلسفة العلوم الغريبة**[١١] **تأليف هنري كورنليوس اغريبانتشايم،**[١٢] **ذروة تطوره. كما وصلت أفكار القبالة عن طريق تأليفات هؤلاء الكتاب الايطاليين والألمان وكذلك أعمال هنري دورر**[١٣] **إلى الأدب والفن البريطاني والفرنسي في النصف الثاني من القرن السادس عشر.**

وفي القرن السابع عشر، حظي كتاب «Cabala denudata» الذي كان من تراجم النصوص الكابالائية الشهيرة، بدراسة واسعة النطاق من لدن التنويريين الأوروبيين، وأصبح لفترة طويلة مع كتاب Aris Cabalistica تأليف جان بيستوريوس،[١٤] **بمنزلة المصدر الرئيسي لأثر النزعة الباطنية اليهودية على الفكر الأوروبي. وقد أدرك فلاسفة الأفلاطونية المحدثة، فيمن فيهم لايب نيتس و كمبريتش في القرن السابع عشر وكتاب ومؤلفون بمن فيهم لسينغ وامانويل سودنبرغ،**[١٥] **ووليام بليك،**[١٦] **في القرن نفسه، الأفكار الكابالائية. وازدهرت المجموعات الباطنية كما تأثرت أوروبا الوسطى بالفكر القبالي الشاباتائي في القرن الثامن عشر.**

وقد برزت هيمنة الفكر الكابالائي الزهري لاسيما في أعمال عارف القرن التاسع عشر اتش.بي.بلاوفتسكي.[١٧] **وفي القرن العشرين،**[١٨] **يمكن تعقب موطئ قدم الحكمة الكابالائية في أدب الخيال وأشعار فرانتس كافكا ويوان غول،**[١٩] **وخوخه لوييس بورخس وفلسفة النقد الثقافي ل والتر بنيامين والأدب النقدي ل هارولد بلوم**[٢٠] **وجاك دريدا.**[٢١]

ويعتبر **محمّد عبد الله عنان**، القبالة بانها «مصدر» التقاليد السرية لليهود ويذهب إلى أن جميع مواصفات هذه التقاليد، قد التأمت في القبالة، ويقول:

إن القبالة هي مفردة عبرية، وما يستشف من معناها هو أن عادات وتقاليد القبالة، هي خليط من الفلسفة وتعالم الوحي وخدع السحر التي كانت مألوفة وسائدة بين اليهود منذ العصور القديمة، وقد ظهر أثر تعاليم القبالة في المجتمعات الأوروبية خاصة في القرن الثامن عشر...

وكان مروجو القبالة، يولون أهمية بالغة للسحر والخداع والأسرار والطلاسم ورموز الأعداد، وقد وردت تعاليم القبالة وأسرارها ورموزها في وثيقة عبرية. وإحدى هاتين الوثيقتين هي «سفر الجزر» أو «كتاب الخلق» وهو عبارة عن مجموعة الأحاديث والخطب التي نقلت عن ابراهيم عليه السلام والاخرى هي «سفر هازوهار» أو «كتاب النور» المعروف عادة بـ«زوهار».[٢٢]

وكانت أساطير الكابالا وتعاليمها ورموزها، مصدر معظم الجمعيات السرية الغربية بدء من فرسان الهيكل وصولا إلى البنائين الأحرار (الماسونيين) ممن استخدموا تلك المصادر لوضع نظامهم ورموز عملهم واصبحت في الغالب مصدر استلهام الكثير من الفرق المتمردة والهدامة بما فيها «أخوة الشيطان» و «أصحاب القداس الأسود» و مجموعة «السحرة».

وبناء على اختلاف الفرق والفئات ومقاصدها، فان جمعيات أخرى كانت تعمل في الخفاء وأتينا على ذكرها سلفا، استلهمت جميعها من ذلك المصدر.[٢٣]

وحسب «موسوعة اليهود»:

وقد اعتقدت المحافل الثقافية لعصر النهضة بعمق أنها حصلت من خلال رسائل الكابالا على المصادر الأصيلة والبكر لأسرار الكون القديمة، رسائل مفقودة ظهرت الان ويمكن بواسطتها الوصول إلى أسرار كتابات أفلاطون وسائر المفكرين اليونان القدامى فضلا عن التعرف على أسرار المسيحية.[٢٤]

إن الأدبيات والتقاليد والعلامات والرموز الرائجة بين المحافل الماسونية، مؤشر على التأثر العميق للطرق الماسونية بالقبالة اليهودية.

وقد ألقى كاوي كرامب الماسوني من الدرجة الثلاثين، بظلال من الشك على الفرضية التي روج لها روبرت فرك غولة، المؤرخ الماسوني الشهير والتي تشير إلى أن الماسونية انبثقت من باطن صنوف (غيلدات) بنائي العصور الوسطى في أوروبا، وتطرق في مقال مسهب إلى الترابط بين الماسونية ومدرسة الكابالا.[٢٥]

وثمة ماسوني أخر يدعى ويت[٢٦] **يقول: بتقديري، أنه أمر محتوم وقطعي أن عناصر من القبالة قد تسربت إلى جمعياتنا السرية.**[٢٧]

ويمكن بذلك استنتاج أن المحافل الماسونية تأثرت بشدة بالتعاليم اليهودية للقبالة، بل أن اليهود يعدون من مؤسسي ومصممي الهيكل النظري والتطبيقي لها.

إن حقد ابليس الدفين تجاه الله المتعال، وحسده للإنسان واهتمامه لتضليل أبناء آدم عن طريق تدنيس جسمهم وروحهم بالأصناف المختلفة للشرك والكفر، انتقل على الفور إلى أشرار اليهود الذين وضعوا بوصفهم أداة عمل ابليس وممثليه مطلق الصلاحية، على جدول أعمالهم تدمير وتهديم جميع الدعائم العقائدية الدينية وعرضوا عن طريق المحافل الخفية، التعاليم المشركة في إطار أنواع الفلسفة والفن والأدب وبالتالي الإيديولوجيات السياسية والاجتماعية. وبذلك مهدوا لإعراض جميع الشعوب عن الأديان التوحيدية، وجعلوا الناس من خلال تلويثهم بالنجاسات الفيزيقية والميتافيزيقية يقعون في فخ ابليس.

إن ما يميز التاريخ الغربي الجديد (خلال الأربعمائة العام الاخيرة) عن سائر القرون، هو ظهور وبروز الأنماط المختلفة للوثنية والشرك ضمن الأطر العلمية والثقافية الحديثة. وفي أي عصر، لم تكن المدارس والإيديولوجيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية والفنية، ملوثة ومدنسة بقدر عصرنا الحاضر بالتعاليم والأسس النظرية المشركة والشيطانية على امتداد الكرة الأرضية.

إن هيمنة الثقافة والحضارة الغربية على عامة التقاليد وتهميش عامة الثقافات والحضارات غير الغربية، أدى إلى أن ينتشر الشرك والإلحاد الغربيين على نطاق واسع ويتسرب إلى أقاصي العالم.

وكانت المحافل الماسونية، أهم ركن لتطوير وبسط هذا التيار غير الرحماني بين الشعوب.

إن اهتمام المحافل الماسونية بانتقاء أكثر الاشخاص سلطة وتأثيرا في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية، يتجلى باشد صوره، بحيث أن عامة سكان الأرض في القارات الخمس، مصابون اليوم بالمجالات الثقافية والحضارية الغربية المتساوية وفي الوقت ذاته الماسونية.

الهوامش:

1. Malachi Martin.

٢. يحيي، هارون، «فرسان الهيكل»، صص ٦٧-٦٨.

٣. المصدر السابق، صص ٦٩-٧٠؛ نقلا عن:

Malachi Martin, «The keys of this Blood,» pp.520-522.

٤. المصدر السابق، صص ٦٩-٧٠.

٥. يحيي، هارون، «فرسان الهيكل»، صص ٧١-٧٢.

6. .Pico della Mirandola.
7. Johannes Reuchlin.
8. De arte Cabbalistica.
9. Egidio de Viterbo.
10. Francesco Giorgio.
11. De Oculta Phillosophia.
12. Henri cornellius Agrippansteim.
13. Durer.
14. John Pistorius.
15. Emanuel Swedenborg.
16. Jaeques Derrida.
17. H.P. Blavatsky.

١٨. كاوياني، شيوا، «ديانة القبالة»، طهران، فاروان للنشر، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.ش.

19. Yvan Goll.
20. Harold Bloom.
21. Jaeques Derride.

٢٢. عنان، محمّد عبدالله، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة».

٢٣. المصدر السابق، صص ٣٥٧-٣٥٨.

٢٤. شهبازي، عبدالله، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٧؛ نقلا عن:

Judaica, Vol.10, p.643.

٢٥. شهبازي، عبدالله، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ص ٣٥٧؛ نقلا عن:

w.w.covey-crump. «The craft and the kabalah», Albert F.calvert

26. w.F.Waite.

٢٧. شهبازي، عبدالله، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، صص ٣٥٧-٣٥٨.

المصدر: «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة» (الجزء السادس): فرسان الهيكل وأسس الماسونية، إسماعيل شفيعي سروستاني، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

تقوية محبّة امير المؤمنين علي عليه السلام

د.مسعود دريس

اثبتت التجارب أن من نشأ على الدين والشعائر الدينية ومحبة اهل البيت عليهم السلام في العادة سيصبحون اكثر كمالا وانضباطا، وسيراعون حقوقهم في ارتباطهم بالآخرين، ويتجنبون الظلم.

نظرًا لاهتمامهم بأكثر البشر كمالًا، وجعل أهل البيت عليهم السلام قدوة لهم في الحياة فإنهم يتقدمون نحو الكمال شائوا ام ابوا. فيما يتعلق بالدور البناء والخير لمحبة أهل البيت عليهم السلام في الإنسان، نقرأ ما يلي في زيارة الجامعة الكبيرة:

«بِمُوالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللهُ مَعالِمَ دِينِنا، وَاَصْلَحَ ماكانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيانا وَبِمُوالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ، وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ، وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ»

اعطاء الهدايا للأزواج

إن احترام شخصية الناس يخلق المحبة والعاطفة فيهم. إن إعطاء الهدية هو نوع من الاحترام للطرف الآخر والشخص الذي يتلقى الهدية قسريًا وبطبيعته التي وهبها الله، يضع حب وعاطفة المانح في قلبه. وهذه النقطة لها أهمية خاصة في العلاقات الزوجية، وهي عامل مهم في خلق المودة والتقارب مع الرجل والمرأة، لدرجة أن أجر إعطاء الرجل لزوجته هو مثل القيام بعمل الخير للمحتاج.

يقول نبي الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله في هذا الصدد:

«ممن دخل الشوق فاشترى تحفة فحملها الى عياله كان كحامل صدقة الى قوم محاويج...»[١]

الهدية تملأ القلوب بالصفاء والألفة وتزيل غبار العكارة عن القلوب. خاصة أن تقديم الهدية في المناسبات الخاصة التي تختلط فيها الذكريات السعيدة لذلك اليوم بفرح العطاء يضاعف تأثيرها المحبة وتبقى ذكرى جميلة.

لهذا السبب تلقينا تعليمات خاصة من أولياء الله فيما يتعلق بالرفاهية والراحة والتنمية الاقتصادية للأسرة في أيام الفرح والعيد.

يقول الإمام الصادق عليه السلام وهو يحصي واجبات الرجل تجاه زوجته في البيت:

«ولا تكون فاكهة عامة الا اطعم عياله منها ولا يدع أن يكون للعيد عندهم فضل في الطعام وان يسني لهم في ذلك شيء ما لم يسن لهم في سائر الأيام»[٢]

مركز الصفاء و الفضيلة

البيت من وجهة النظر الإسلامية هو المركز الأول والأهم في التربية الأخلاقية للأبناء، ويمكن للأفراد ان يتعلموا دروس الفضيلة والود والأخلاق الجيدة والالتزام، أو دروس الكراهية والخيانة والديون والرياء منه.

على الرغم من أن الشخص يتأثر في أسلوب حياته بمجتمع المدرسة وزملاء اللعب إلا أن تأثير الأسرة فيه يكون أكبر وأكثر حساسية. إن مسؤولية الأسرة في تربية طفلها مهمة للغاية لدرجة أن القرآن الكريم ذكر هذه القضية المهمة والدعاء من أجل تحقيقها من بين خصائص المؤمنين الحقيقيين: «**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**»[٣]

الواضح أن الآية لا تعني أن (المؤمنين) يجلسون في زاوية ويقومون بالدعاء؟ بل إن التواصل مع الله هو سبب حماسهم الداخلي لتربية الأبناء وسر جهودهم.

أمثال هؤلاء يسعون بكل جهودهم الى النماء الفكري والديني والأخلاقي لأبنائهم وأزواجهم وتعريفهم بأساليب الحق ومصادر النعمة والفضيلة، ويطلبون من الله أن يشملهم بنعمته. وفي آية أخرى يحذر القرآن الكريم المؤمنين: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ**»[٤]

عن **أبي بصير** في قول الله عز وجل: «... **قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**» قلت: **كيف أقيهم؟** قال: «**تأمرهم بما أمر الله وتنهاهم عما نهاهم الله فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك.**»[٥]

وفي حديث آخر نصح خاتم الرسل ﷺ المسلمين: «**كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيّته، والرّجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيّته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيّتها... .**»[٦]

بأمر الإمام علي عليه السلام، فإن أفضل ميراث يمكن للآباء أن يتركوه لأبنائهم هو الأدب والتربية الصحيحة. قال الإمام عليه السلام: «**خير ما ورث الاباء الابناء الادب.**»

وأيضًا قال عليه السلام: «**اعلموا انفسكم و اهليكم الخير و ادبوهم.**»[٧]

يستعين الإمام زين العابدين عليه السلام بالله سبحانه وتعالى في القيام بهذه المسؤولية الحساسة والحاسمة، وقد طلب منه هذا الطلب: «**واعني على تربيتهم وتأديبهم وبرهم.**»[٨]

الصلاح، الكفاءة والتفاهم

يلعب الآباء دورًا مهمًا في تربية أولادهم، و يمكنهم أن يكون وا قدوة بناء ومناسبًا لأبنائهم الذين يتمتعون بالصلاح والكفاءة لهذه المسؤولية.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «**يحفظ الاطفال بصلاح آبائهم.**»[٩]

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**ان الله ليفلح بفلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده.**»

لذا فإن الخطوة الأولى في التعليم هي التربية الداخلية للوالدين. الإنسان الذي لا يتزين بالفضائل الأخلاقية ولم تتطور شخصيته وحالاته السلوكية، لا يستطيع أن يقود الآخرين إلى الطهارة والخير. ولهذا يحرم على المسلمون في الروايات من الزواج من امرأة لا تتسم بالفضيلة والتربية. ويؤكد أتباع الإسلام على: إيجاد مكان مناسب لنطفتك. لأن بعض سمات الناس تنتقل عن طريق الوراثة. ونشير إلى أمثلة من الآيات والروايات في هذا الصدد: فالقرآن الكريم يقول: «**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا**»[١٠]

ذات يوم، قام الرسول الكريم ﷺ وخاطب الناس:

«**ايها الناس اياكم وخضراء الدمن قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن. قال : المرأة الحسناء في منبت السوء.**»[١١]

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**روي عن الرسول الكريم ﷺ انه قال: «واياكم وتزوج الحمقاء فان صحبتها بلاء وولدها ضياع.**»[١٢]

مما لا شك فيه أن مراعاة مبدأ الكرامة والمساواة بين الرجل والمرأة في الزواج بشتى الطرق يزيد من قوة الأسرة ويوفر بيئة مواتية لتنمية الناس الفاضلين والناجحين والفاعلين الذين لديهم عزة نفس.

لتربية الأبناء هناك مبادئ يمكن اتباعها بشكل أسرع وأفضل لتحقيق الأهداف المرجوة لذلك من خلال إدراك هذه المشكلات يمكن للوالدين حل المشكلات الحالية بسهولة. ولكن إذا لم يتخذوا هذه الخطوة فلن يكون من الممكن تحقيق الأهداف فحسب بل ستزداد الاضطرابات السلوكية لدى الأبناء وستُلحق أضرارًا لا يمكن إصلاحها بهم.

يتحمل الآباء مسؤولية تجاه أبنائهم، ولذلك يجب عليهم محاولة استخدام افضل طريقة مناسبة لتربية أطفالهم، والتي تكون أكثر فائدة في ولادة فرد يتمتع بصحة نفسية جيدة وكفاءة في المجتمع. يجب أن يكون لدى الآباء التفاهم والاتفاق في اختيار أفضل تعليم ويحتاجون إلى احترام معتقداتهم وآرائهم، وتجنب الأنانية والعناد، والتفكير أكثر في مستقبل أبنائهم ويقدرون حجم المسؤولية التي يتحملونها لتربيتهم. لأن الخلافات والمشاجرات غير الضرورية تجعل الأبناء غاضبين وتحرمهم من الشعور بالأمان. لكن إذا شعر الأبناء أن الوالدين في وئام مع بعضهما البعض، فسيصلون إلى شاطئ السلام.

الهوامش:

١. «الامالي» الصدوق، ص ٦٧٢؛ «وسائل الشيعة»، ج ٢١، ص ٥١٤.
٢. «جامع المدارك»، ج ٤، ص ٤٨٥؛ «وسائل الشيعة»، ج ٢١، ص ٥١٣.
٣. سورة الفرقان، الآية ٧٤.
٤. سورة التحريم، الآية ٦.
٥. «تفسير نورالثقلين»، ج ٥، ص ٣٧١.
٦. «مجموعه ورام»، ورام ابن ابي فراس، ج ١، ص ٦.
٧. الدر المنثور، ج ٦، ص ٢٤٤.
٨. «الصحيفة السجادية»، دعاء ٢٥.
٩. «بحار الانوار»، ج ١٥، ص ١٧٨.
١٠. سورة الأعراف، الآية ٥٨.
١١. «الكافي»، ج ٥، ص ٣٣٢؛ «وسائل الشيعة»، ج ٧، ص ٢٩.
١٢. «وسائل الشيعة»، ج ٤، ص ٥٦.

المصدر: موقع الواح طينية.

وهذا لا ينافي القيام بحركات تحررية كما في سنة الصيحة من السماء لو كانت بعنوان نصرة المذهب أو نصرة الإمام المهدي عجل الله فرجه لكن بشرط عدم ادعاء أيّ نحو من الحجية فإنّ مفاد الروايات نفي حجية الاتصال أو النيابة الخاصة عن الإمام بل حتّى مثل شخصيات الظهور كاليماني والخراساني وغيرهم فإنّ مفاد الروايات ليس فيه إعطاءهم أي نحو من الحجية، نعم غاية ما تثبته الروايات لمثل هذه الشخصيات أنهم على الحق وأنهم يدعون لنصرة الإمام المهدي عجل الله فرجه أو لرفع الظلم أو نحو ذلك من دون أيّ منصب ومقام خاص إلّا أنهم على الحق.

نعم الدّعوة لنصرتهم ومؤازرتهم باعتبار حقانية دعوتهم وحجية الثوابت والموازين التي يرفعونها ويطالبون بها إذ الحق بما هو حق يجب أن يتبع بغض النظر عمّن طلبه وكيف طلب ممن هو غير معصوم ما دام متقيداً بالموازين وملتزماً بالأحكام الشرعية، وهذه الشخصيات هناك دعوى لنصرتهم بشرط سماع الصيحة من السماء وظهور قيام دولة السفياني لا لشخصهم بل لأنهم يدعون للرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله، وإلّا فالموجود في الروايات من المدح والثناء وكَيل الصفات على **اليماني** مثلًا لم يبلغ ما هو مذكور في حق **زيد بن علي بن الحسين**، ومع كل ذلك لم تكن له أيّ نحو من الحجية وإنما ذلك المدح له باعتبار أنه كان يدعو للرضا من آل محمّد وهي دعوة حق، فالمدح والثناء كان باعتبار دعوته.

لذا فإنّ بعض الروايات تفيد أن الدعوة إن وافقت الموازين وكانت متقيّدة بأحكام الشرع المبين وكان المطلوب فيها هو الحق فلا بدَّ من دعمها وتأييدها قدر الإمكان كما عن **المجلسي** حيث جزم أن دعوة الصفويين كانت دعوة تدعو إلى التمسّك بأحكام ومنهاج أهل البيت عليهم السلام ليست لأنها سياسية أو عسكرية أو... بل لأنهم طلبوا الحق وأرادوا رفع الظلم وإقامة الدين من دون أن يدّعوا أيّ منصب ديني كالسفارة أو النيابة الخاصة أو العصمة أو غيرها وإنما قالوا: **نحن عبيد الله ومطيعون للأئمّة عليهم السلام وتابعون لفقهاء الإمامية**، لذلك فإنّ مجموعة من أساطين وأعلام الفقه الشيعي وظفوا كل إمكاناتهم لنصرتهم كـ**الشيخ جعفر كاشف الغطاء** و**الشيخ الكركي** وغيرهم.

وما ذلك إلّا لأنها دعوة سعت إلى التقيّد بأحكام الشرع ووفق الموازين، فالنصرة كانت وتكون للدعوة لا للأشخاص سواء أكان الشخص اليماني أم **الخراساني** أم غيره، نعم لو كان الشخص هو الإمام المعصوم فالنصرة تكون له بما هو بعد أن يثبت أنه الإمام حقاً لأنّا مأمورون باتّباعه هو، وهكذا الحال في أيّ واحد من أنصار الإمام المهدي عجل الله فرجه الـ ٣١٣ فإنّه بحسب الروايات ليس لهم أيّ نحو من النيابة ولا السفارة ولا أيّ حجية قبل ظهوره.

والحاصل أن أيّ عنوان من هذه العناوين ليس له أيّ حجية حتّى عنوان السفارة أو النيابة الخاصة أو غيره في فترة الغيبة، نعم بعد الظهور قد تكون لهذه العناوين الحجية التي تعطى حينئذٍ من قبل الإمام عجل الله فرجه.

الخلط بين أحوال الرجعة وما قبل الظهور

ثمّ لا بدَّ من الالتفات إلى أن بعض الروايات وخصوصاً روايات الملاحم إنما تبيّن أحوال الرجعة وليس أحوال ما قبل الظهور فمثلًا المهديون الاثنا عشر فإنّ الروايات تعطيهم بعض الأدوار ولكن ليس قبل الظهور بل ولا بعده وإنما في فترة الرجعة، فلا بدَّ من التمييز بين هذه المراحل وإلّا وقعنا في خلط بين بعض العناوين التي لا حجية لها وبين البعض الآخر الذي له نحو من الحجية وبعض الأدوار لكن في مراحل أخرى.

وبهذا الفهم والادراك والالتفات للمراحل نسد الباب أمام الدجالين والمضلين ولا ينخدع بألاعيبهم حينئذٍ إلّا السذج وقليلوا الفهم والادراك وضعاف البصيرة.

المصدر: الشيخ محمّد السند، «دعوى السفارة في الغيبة الكبرى»، إعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه.

علي منتظر القائم

المجتمع الموعود نموذج المجتمع المثالي

يمكن دراسة الحكومة العالمية الموعودة من منظورين اثنين. من وجهة النظر الأولى، لا يُنظر إلى هذه الحكومة إلا على أنها نموذج بعيد المنال يجب انتظار تحقيقه؛ مثال لا علاقة له بوضعنا الحالي وليس له أي تأثير على الحقائق الحالية للمجتمع.

من وجهة النظر الثانية، فإن هذه الحكومة بكل سماتها المثالية لا تشكل غاية آمال الإنسانية والرغبة النهائية للباحثين عن العدالة فحسب، ولكن تعتبر أيضاً كنموذج حقيقي لتنظيم الوضع القائم وهدف موضوعي يمكن أن يوجه حركاتنا الاجتماعية. بالطبع، لا يمكن التحقيق الكامل لهذا المثل الأعلى إلا على يد الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وقد أشار المرشد الأعلى للثورة الإسلامية **آية الله خامنئي** في إحدى خطاباته إلى ضرورة "الاهتمام بقضية العدالة الاجتماعية في البلاد" وضرورة مواجهة طبقة المستفيدين من الأموال غير المشروعة وطبقة الأثرياء وذكر نقطة مهمة وهي أن الاهتمام بها يمكن أن يساعدنا في رسم صورة واضحة لوجهة النظر الثانية. وقد تناول في خطابه موضوع العدل و القسط الذي ورد ذكره في الروايات الإسلامية كإحدى السمات المهمة لثورة المهدي المنتظر عليه السلام، ولا بد من الالتفات إلى هذا الموضوع في جميع برامج النظام الإسلامي.

النظام الإسلامي نظام العدالة. أيها التواقون لشروق شمس المهدوية في آخر الزمان، والآن وبعد مضي حوالي ألف ومئتي سنة وأمة الإسلام والشيعة ينتظرون ظهور المهدي المنتظر عجل الله فرجه، فما هي الصفات التي تذكرونها له عجل الله فرجه؟

«**اَلَّذِي يَمْلَأُ اللهُ بِه الأَرْضَ قِسْطا وَ عَدْلاً**» ألا تقولون «**يَمْلَأُ اللهُ بِه الأَرْضَ دِينا**».

هذه نقطة مهمة جداً. لماذا لا ننتبه لهذه النقطة؟ رغم أن القسط والعدل من شؤون الدين، إلا أن الأمة الإسلامية تدعو لتحقيق العدل والقسط منذ ألف عام، وأول مهمة لهذا النظام الإسلامي الذي ظهر هو بسط القسط والعدالة. القسط والعدل من أكثر الأمور الواجبة. كما نريد الازدهار للقسط والعدل. نريد أعمالاً متنوعة ونضالاً وحرباً وإعماراً وتنمية مقابل تحقيق القسط والعدل. من أجل إقامة العدل في المجتمع، يمكن للجميع الاستفادة من خيراته لكي لا يتعرض بعض الناس للظلم والحرمان. يمكن للإنسان أن ينمو ويزدهر في بيئة القسط والعدل. كما يمكنه الوصول إلى درجات الإنسانية العالية وتحقيق الكمال البشري. القسط والعدل مقدمة ضرورية للكمال النهائي للإنسان. فكيف يمكن تجاهل هذه القضية؟[1]

ويتمثل جوهر كلام زعيم الثورة في الكلمات المذكورة في أنه لا ينبغي لنا أن ننظر إلى ثقافة المهدوية والانتظار، بالخصائص التي أحصيت لها في الروايات، كمجموعة من المعارف التي تحدد فقط الوضع المستقبلي للعالم دون أن يكون لها علاقة بالوضع الراهن للمسلمين. يجب أن نعتبر هذه الثقافة متدفقة في جميع المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية في مجتمعنا ونسعى جاهدين لتنفيذ الخصائص المذكورة للمجتمع الموعود بقدر ما نستطيع في مجتمعنا، وإذا لم نحقق الآن نجاحاً للوصول إلى المجتمع

الموعود، فعلى الأقل يمكننا إنشاء المجتمع المثالي من خلال الاقتداء به. وقد ذكر الإمام الراحل هذه المسألة أيضاً فقال:

بالطبع، لا يمكننا ملء العالم بالعدل. لو استطعنا لفعلنا ذلك لكن بما أننا لا نستطيع فعل ذلك، فيجب أن يأتي. العالم الآن مليء بالظلم. وأنتم لستم سوى نقطة في العالم. العالم مليء بالظلم. إذا تمكنا من وقف الظلم، فيجب علينا أن نفعل ذلك. هذا من واجبنا.[2]

يجب أن يصبح الاقتداء بنهضة المهدي عجل الله فرجه في مجتمعنا الإسلامي ثقافة راسخة ويجب على جميع المشاركين في النظام الإسلامي أن يعتبروا أنفسهم ملزمين بمعرفة خصائص الدولة الكريمة لخاتم حجج الله ومحاولة تأسيس حياتهم الشخصية والاجتماعية على أساسها. في هذه الحالة، يتحقق المعنى الحقيقي لانتظار الفرج؛ لأنه عندما نعتبر أنفسنا منتظرين حقيقيين، فإننا ملتزمون بالمثل العليا التي نتوقع تحقيقها.

لذلك، يجب أن نتفحص الروايات التي أوضحت الخصائص الفريدة للمصلح الموعود وخصائص الحكومة العالمية لذلك الإمام عليه السلام، حتى نتمكن في النهاية من تحقيق نموذج مناسب للمجتمع الموعود؛ النموذج الذي يمكنه تنظيم حياتنا الاجتماعية في العصر الحالي.

من أجل توضيح موضوع هذه المناقشة، سوف نشير إلى بعض السمات التي ذكرت في روايات الحكومة العالمية للإمام الغائب عجل الله فرجه:

١. زهد المسؤولين الحكوميين

وفي هذا السياق رُوِيت عن الإمام الصادق عليه السلام رواية يفيد الانتباه إلى محتواها في رسم صورة لأسلوب حياة شخص يكون حاكماً للعالم كله في عصر الظهور. وفي هذا الرواية خاطب عليه السلام أصحابه فقال:

«**ما تستعجلون بخروج القائم! فوالله ما لباسه إلاّ الغليظ و لاطعامه إلاّ الجشب....**»[3]

وفي رواية أخرى رواها المفضل عن الإمام الصادق عليه السلام جاء أن الإمام عليه السلام أعطى صورة شاملة لأسلوب حياة الحكام في عهد أهل البيت عليهم السلام:

كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بالطّواف، فنظر إليّ و قال لي: «**يا مفضّل! ما لي أراك مهموما متغيّر اللّون؟**» فقلت له: **جعلت فداك! نظري إلى بنيالعبّاس و ما في أيديهم من هذا الملك و السّلطان و الجبروت، فلوكان ذلك لكم لكنّا فيه معكم**، فقال: «**يا مفضّل، أما لوكان ذلك لميكن إلاّ سياسة اللّيل و سياحة النّهار، أكل الجشب و لبس الخشن، شبه أميرالمؤمنين و إلاّ فالنّار.**»[4]

وبحسب بعض الروايات، كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام يرتدي ثيابا جميلة أثناء إمامته، ولهذا السبب انتقده البعض. لكنه يقول هنا أننا إذا وصلنا إلى الحكومة فلن يكون لنا نصيب سوى تناول الطعام غير الشهي وارتداء ملابس المؤذية. يوضح هذا البيان الأهمية الخاصة لحكم المسلمين والواجب الجدي لمسؤولي الحكومة الإسلامية.

تظهر هذه الرواية أن قبول مسؤولية حكومة الشعب يجلب التزاما مزدوجا على الشخص الذي يقبل هذه المسؤولية ويجبره على تنسيق حياته مع أضعف طبقات المجتمع من أجل تخفيف آلامهم بكل كيانه وشعوره وسلامته حيث يجب أن يكرس جهوده لشفاء تلك الآلام.

إن القصة التالية تساعدنا في معرفة المهمة الثقيلة لقادة ومسؤولي مجتمع العدالة الإسلامية:

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي **عاصم بن زياد** قال: و ما له قال لبس العباء و تخلّى من الدّنيا. قال: عليّ به. فلمّا جاء قال:«**يا عديّ نفسه لقد استهام بك الخبيث أ ما رحمت أهلك و ولدك أ ترى الله أحلّ لك الطّيّبات و هو يكره أن تأخذها أنت أهون على الله من ذلك.**» قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك و جشوبة مأكلك. قال:

«**ويحك، إنّي لست كأنت إنّ الله فرض على أئمّة الحق (العدل) أن يقدّروا أنفسهم بضعفة النّاس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره.**»[5]

٢. التعامل بحزم مع الولاة وبلطف مع المرؤوسين

ومن السمات المهمة لحكومة الإمام المهدي عليه السلام العالمية والتي وردت في الروايات التعامل بحزم مع المسؤولين الحكوميين ومتولي الشؤون وإنزال العقاب بالمخالفين. وفي رواية نقلت عن الإمام علي عليه السلام في هذا السياق نقرأ ما يلي:

«**لينزعنّ عنكم قضاة السّوء، و ليقبضنّ عنكم المراضين، و ليعزلنّ عنكم أمراء الجور، و ليطهّرنّ الأرض من كلّ غاش....**»[6]

وفي رواية أخرى، وصف حزم الإمام المهدي عليه السلام أمام الولاة غير المرهلين ولطفه تجاه الفقراء والمحتاجين كما يلي:

«**المهديّ سمح بالمال، شديد على العمّال، رحيم بالمساكين**»[7]

الشدة والحزم في التعامل المسؤولين الحكوميين والعطف مع الضعفاء والمرؤوسين هي من السمات المهمة التي يجب أن يتمتع بها الحاكم الإسلامي. وفي رسالة وجهها إلى النجاشي أحد أصحابه وولاته على ولاية الأهواز، رأى الإمام الصادق عليه السلام أن خلاصه يتوقف على هذه الصفات، فقال: «**و اعلم أنّ خلاصك و نجاتك في حفن الدّماء و كفّ الأذى عن أولياء الله و الرّفق بالرّعيّة و التّأنّي و حسن المعاشرة مع لين في غير ضعف و شدّة في غير عنف.**»[8]

كما أوصى الإمام علي عليه السلام أحد ولاته بما يلي:

«**و اخلط الشّدّة بضغث من اللّين، و ارفق ما كان الرّفق أرفق و اعتزم بالشّدّة حين لايغني عنك إلاّ الشّدّة....**»[9]

٣. ضمان الرفاه الاقتصادي للشعب

في عهد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، سينتشر الرخاء ويعم الازدهار جميع جوانب الحياة البشرية وزواياها، وسيتحرر الناس من مشاكل الحياة اليومية ويمكنهم التركيز على تطورهم المعنوي. وقد وردت في هذا السياق روايات كثيرة، لكن يكفي هنا أن نذكر رواية عن الإمام علي عليه السلام:

«...و اعلموا أنّكم إن اتّبعتم طالع المشرق سلك بكم منهاج الرّسول... و كفيتم مؤونة الطّلب و التّعسّف، و نبذتم الثّقل الفادح عن الأعناق»[١٠]

في هذه الرواية، يعتبر اتباع الإمام العادل والدخول في دين النبي مقدمة للوصول إلى وضع اقتصادي موات، والتخفيف من المعاناة، والتحرر من أعباء الحياة الثقيلة. النقطة الدقيقة التي يمكن الحصول عليها من هذه القضية هي أن توفير الرفاهية الاقتصادية وتنظيم الظروف المعيشية لأفراد المجتمع لا يتعارض مع الأهداف الإلهية والقيم الروحية لذلك المجتمع، ولكن تحقيق هذه الأهداف هو الأرضية الملائمة لتحقيق النمو الاقتصادي والتنمية وضمان الرفاهية العامة والراحة لأفراد المجتمع.

ويمكن رؤية النقطة المذكورة في خطاب آخر لأمير المؤمنين علي عليه السلام حيث قال:

«أما و الّذي فلق الحبّة و برأ النّسمة، لو اقتبستم العلم من معدنه، و ادّخرتم الخير من موضعه، و أخذتم الطّريق من وضحه، و سلكتم من الحقّ نهجه، لنهجت بكم السّبل و بدت لكم الأعلام، و أضاء لكم الإسلام، و أكلتم رغدا، و ما عال فيكم عائل و ظلم منكم مسلم و لامعاهد.»[١١]

٤. نشر العدل والمساواة

من أهم سمات حكومة المهدي عليه السلام انتشار العدل في جميع جوانب الحياة البشرية. وفي حديث مشهور كثيراً ما رواه الشيعة والسنة أهل بالتواتر: «... **يَمْلَأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَ عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَ ظُلْماً**»[١٢]

العدالة المهدوية شاملة وواسعة الانتشار لدرجة أنها تتغلغل داخل المنازل وتؤثر على العلاقات الخاصة لأفراد الأسرة؛ وهو عمل لا يستطيع أي نظام قانوني القيام به. ويقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصدد: «...**و أما و الله ليدخلنّ (القائم) عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحرّ والقرّ.**»[١٣]

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام حدد نطاق العدالة على النحو التالي: «...**إذا قام قائمنا فإنّه يقسم بالسّويّة، و يعدل في خلق الرّحمن، البرّ منهم و الفاجر....**»[١٤]

في شرحه للمفهوم الحقيقي للعدالة التي تتحقق بقوة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وتغطي الأرض كلها، يقول الإمام الخميني:

إن قضية غيبة صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف هي قضية مهمة تجعلنا نفهم بعض القضايا الأخرى، بما في ذلك حقيقة أنه للقيام بمثل هذا العمل العظيم المتمثل في تطبيق العدالة في العالم بالمعنى الحقيقي، لم يكن هناك أحد في البشرية جمعاء سوى المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف قادر على القيام بذلك وقد حفظه الله تعالى لذلك. جاء كل من الأنبياء لتحقيقالعدل وكان هدفهم إقامة العدل في العالم كله، لكنهم لم ينجحوا. حتى خاتم الأنبياء ورسول الإسلام صلى الله عليه وآله، الذي جاء لإصلاح البشرية وإقامة العدل وتعليم البشرية، لم ينجح بهذا المعنى في عصره...

عندما يظهر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سيخرج البشرية جمعاء من الانحطاط، ويقوّم كل اعوجاج. «يَمْلَأُ الأَرضَ عَدلاً بَعدَ ما مُلِئَتْ جَورا.» وهذه العدالة أسمى من المعنى الذي نفهمه منها، إنها مصداق «يَمْلَأُ الأَرضَ عَدْلاً بَعَد ما مُلِئَتْ جَوْرا». العالم الآن يعج بالظلم. كل النفوس الموجودة فيها انحرافات، حتى أرواح الأشخاص الكاملين فيها انحرافات، حتى لو كانوا لا يعرفون ذلك. في الأخلاق انحراف؛ في الآراء انحراف، في الأفعال انحراف، وهناك انحرافات معينة في الأشياء التي يقوم بها البشر، وهم مسؤولون عن تقويم كل هذه الانحرافات وإعادة الأمور إلى مجراها الصحيح حقاً: «يَمْلَأُ الأَرضَ عَدْلاً بَعدَ ما مُلِئَتْ جَورا»[١٥]

الهوامش:

١. «جريدة جمهوري إسلامي»، الخميس ١٩٩٧/٧/١٧م.
٢. الإمام الخميني، «صحيفة النور»، ج ٢٠، ص ١٩٨.
٣. «بحار الأنوار»، ج ٥٢، ص ٣٥٤، ح ١١٥.
٤. المصدر السابق، ص ٣٥٩، ح ١٢٧.
٥. «نهج البلاغة»، ترجمة: محمّد مهدي فولادوند، خطبة ٢٠٠، ص ٢٦٠؛ «نهج البلاغة»، تحقيق: صبحي صالح، خطبة ٢٠٩، صص ٣٢٤-٣٢٥؛ «بحار الأنوار»، ج ٤٠، صص ٣٣٦ و٣٣٧، ح ١٩.
٦. «بحار الأنوار»، ج ٥١، ص ١٢٠، ح ٢٣.
٧. علي بن موسى بن طاووس، «التشريف بالمنن في التعريف بالفتن»، ط ١، قم، مؤسسة صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف، ١٤١٦هـ.ق، ص ٣٢٥؛ نجم الدين جعفر بن محمّد العسكري، «المهدى الموعود المنتظر عند علماء السنة والإمامية»، ط ١، طهران، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ١٩٨١م.، ج ١، ص ٢٧٧.
٨. «بحار الأنوار»، ج ٧٧، ص ١٩٢.
٩. «نهج البلاغة»، ترجمة: محمّدمهدي فولادوند، رسالة ٤٦، صص ٣٧٤-٣٧٥؛ «نهج البلاغة»، تحقيق: صبحي صالح، الرسالة ٤٦، صص ٤٢٠-٤٢١.
١٠. «بحار لأنوار»، ج ٥١، ص ١٢٣، ح ٢٤.
١١. «الكافي»، ج ٨، ص ٣٢.
١٢. «كمال الدين و تمام النعمة»، ج ١، ص ٢٥٧، ح ١.
١٣. «بحار الأنوار»، ج ٥٢، ص ٣٦٢، ح ١٣١.
١٤. المصدر السابق، ج ٥١، ص ٢٩، ح ٢.
١٥. «صحيفة نور»، ج ١٢، صص ٢٠٧-٢٠٩.

إسماعيل شفيعي سروستاني

التولّي والتبرّي، شرط الدخول إلى الحصن المنيع

وفيما يخص ضرورة الحديث عن إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بصورة مشروعة، تحدثنا عن ضرورة معرفة الإمام للخروج من الميتة الجاهلية، وأوردنا مراتب المعرفة وعدّدنا النتائج والثمار المتأتية من سلوك كل من المراتب السبعة.

وفيما عدا ذلك، فان ضرورة تكريم الأمر الواجب المتمثل في التولي والتبري، يلزمنا الحديث عن إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وطبعا معرفة الإمام لكي يتم إرساء ذلك حقيقة.

ويأتي علماء الشيعة على التولي والتبري، كفروع الدين وأحد الواجبات الاسلامية، ما معناه الصداقة مع أصدقاء الله والتقرب إلى أهل الحق والعداء مع أعداء الله والابتعاد عن أهل الباطل. وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«حبّ أولياء الله و الولاية لهم واجبة و البراءة من أعدائهم واجبة و من الّذين ظلموا آل محمّد عليهم السلام و هتكوا حجابه فأخذوا من فاطمة عليها السلام فدك و منعوها ميراثها و غصبوها و زوجها حقوقهما و همّوا بإحراق بيتها و أسّسوا الظّلم و غيّروا سنّة رسول الله و البراءة من النّاكثين و القاسطين و المارقين.»[١]

وأورد القرآن الكريم في تبيان ضرورة التولي والتبري، آيات مختلفة بما فيها في «سورة المجادلة، الآية ٢٢»:

«لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ»

وتعرّف الآيات والروايات، جغرافيا التولي والتبري، لكي ينظّم المؤمنون طريقة وجودهم وعيشهم على امتداد الحياة الثقافية والحضارية، وسلوك الطريق المحفوفة بالتقلبات والصعود والهبوط للحياة الدنيوية والحياة الأخلاقية بسلام؛ وكمثال، فان هاتين القاعدتين، هما بمنزلة جناحي طائر للتحليق في أعالى السماء المعنوية، كي تحدث الصيرورة حتى مقام القرب إلى الله. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما مضمونه:

إن أقوى وأرسخ وسيلة للصداقة والعداء من أجل الله، هو التواصل مع أصدقاء الله والانفصال عن أعداء الله.[٢]

إن من يدعي التولي والتبعية للولاية الإيمانية؛ لكنه يفتقر إلى التبري، هو منافق. ونقل الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن علي أمير المؤمنين عليه السلام:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه ذات يوم:

«يا عبد الله! أحبّ في الله و أبغض في الله و وال في الله و عاد في الله فإنّه لا تنال ولاية الله إلّا بذلك و لا يجد رجل طعم الإيمان و إن كثرت صلاته و صيامه حتّى يكون كذلك...»[٣]

إن شرط الولاية الإلهية والتقرب، يرتبط بالضرورة بالتبري والتولي. التولي للمظهر التام لحضرة الحق، خليفة الله وولي الله الأعظم في كل زمان والتبري وإنكار مظاهر الكفر والشرك والنفاق في كل زمان.

إن الحديث عن إمام الزمان عجل الله فرجه هو التولي له والتبري عن إعدائه، ومن دون ذلك، لن يحصل القرب.

وبيننا وفي كل زمان ومكان، يمكن العثور على أناس، لهم باع طويل في التولي وإبراز المحبة والولاء للأولياء الإلهيين، لكنهم يفتقدون إلى التبري، ويمدون يدهم في كل زمان إلى أعداء آل الله. وفي المقابل، يمكن العثور على أناس يحظون بمراتب التبري من المعاندين والمناهضين لآل الله؛ لكنهم يفتقدون إلى التولي. لذلك، فقد اعتبرت هذين المبدأين، كجناحي طائر روح الآدمي في سماء القرب.

زيارة عاشوراء، ميثاق التولّي والتبرّي

إن زيارة عاشوراء حديث قدسي تحمل في طياتها جميع المراتب اللازمة لميثاق إيماني ونظام عقائدي شيعي. وتبدأ الزيارة **بالسلام** وإعلان السلام؛ هو ما يتصدر إظهار التولي من قبلنا حول أصدقاء وأقاربنا والمنتمين إلينا؛ أما على الفور يُفتح جناح التبري بعد السلام وإبراز الولاء.

وكما أتينا على ذكره في كتاب «معرفة الإمام»[٤] فان زيارة عاشوراء تولي اهتماما خاصا لمراتب في جانبي التولي والتبري. مراتب من التولي ومراتب من التبري.

ويبدأ التبري وإعلان البراءة، من مؤسسي الظلم والجور ومن ثم يشتمل على الأمة والتيارات السياسية الاجتماعية التي تنحّي أهل البيت عليهم السلام من المراتب والمقامات المقررة من قبل الله المتعال، وبالتالي تنسحب على القتلة ومصدري الأوامر والمنفذين المعذورين في الظاهر؛ بالأحرى، إن هذه الزيارة القدسية تعلن أنه يجب في الحياة الإيمانية، معرفة مصاديق ومراتب الظلم والشرك والنفاق في كل دورة تاريخية والتبري منها كلها؛ حتى من الذين أسرجوا وألجموا وتهيأوا للقتال.

١. «فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَ الْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ»

٢. «وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقامِكُمْ، وَ اَزالَتْكُمْ عَنْ مَراتِبِكُمُ الَّتى رَتَّبَكُمُ اللهُ فيه»

٣. «وَ لَعَنَ اللهُ اُمَّةً قَتَلَتْكُم»

٤. «وَ لَعَنَ اللهُ الْمُمَهِّدينَ لَهُمْ بِالتَّمْكينِ مِنْ قِتالِكُم»

٥. «بَرِئْتُ اِلَى اللهِ وَ اِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَ مِنْ اَشْياعِهِمْ وَ اَتْباعِهِمْ وَ اَوْلِيائِهِم»[٥]

إن التعبير عن الكراهية والتبرء يبدأ من مؤسسي الظلم ضد أهل البيت عليهم السلام ويمتد إلى أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم على امتداد التاريخ، إلى يوم القيامة؛ بعبارة أخرى، فان التبري، يشمل تيارا واسعا سلك تقلبات التاريخ ويفضي من خلال المرور بمنازل ومراحل إلى القيامة الكبرى، وعلى المؤمنين أن يتعقبوا ببصيرة ودقة، مواطئ قدم هذا التيار والقيام بتحديد مصاديق عصره، للمضي قدما بالتيار الأصيل للكربلائيين، على أمل أن يكونوا راسخين في هذا الميدان وتشملهم شفاعة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وطلب ثبات القدم في هذا الطريق على أمل نيل شفاعة إمام المجاهدين والشهداء في يوم القيامة.

«اللهُمَّ ارْزُقْنى شَفاعَةَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْوُرُودِ، وَثَبِّتْ لى قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ»

ومن هنا قلت أن تكريم مبدأي التولي والتبري في كل دورة وعصر وفي أي ظروف تاريخية، رهن بمعرفة أبرز وأهم تيارات الحق، وفي المقابل، أبرز وأهم تيارات الباطل، وفي العصر الحاضر، فان المصداق الكامل والتام والأتم للحق، معطوف على المظهر التام للعبودية حضرة صاحب الزمان عجل الله فرجه وأن المصداق الكامل والتام ومجمل الباطل، بعد إبليس اللعين، هي اليهودية وجميع التابعين المباشرين وغير المباشرين لها، بدء من مجاميع الماسونية العالمية الخفية وصولا إلى الثقافة والحضارة الإلحادية وغير الإلهية الغربية وجميع المناسبات التي تستمد في الأساس قوتها وبنيتها الفكرية والثقافية من المذهب الانساني (الأومانية) والعلمانية (السكولارية) والليبرالية (الإباحية).

الهوامش:

١. ابن بابويه الصدوق، محمّد بن علي، «الخصال»، قم، رابطة المدرّسين، الطبعة الأولى، ١٣٦٢هـ. ش.، ج ٢، ص ٦٠٧.

٢. طباطبائي، سيّد محمّد حسين، «الميزان»، ج ٦، صص ٣٠ و ٣١.

٣. ابن بابويه الصدوق، محمّد بن علي، «علل الشرائع»، قم، مكتبة داوري، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ. ش./ ١٩٦٦م.، ج ١، ص ١٤٠.

٤. وقد صدر هذا الكتاب بقلم المؤلف في ٣٢٠ صفحة عام ٢٠١٦م. عن دار موعود العصر للنشر.

٥. القمي، عبّاس، «مفاتيح الجنان»، فقرات من زيارة عاشوراء.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «السير الاستكمالي للإنسان مع الإنسان الكامل»، طهران، موعود العصر، الطبعة الأولى، ٢٠٢٤م.

كيف نغير الغفلة في المجتمع إلى ثقافة الإضطرار إلى حجّة اللّه؟

د.مسعود دريس

ثقافة الاضطرار الى حجة الله تحل محل الغفلة ويجب استبدال ثقافة الاضطرار بثقافة الغفلة. وللأسف فإن ثقافتنا وحضارتنا الجاهلة التي خلقتها وأنتجتها وصدرتها للعالم بواسطة الصهيونية، تحاول تغطية الألم الإنساني واستبداله بالالم الزائفة.

لان بالتأكيد هذه الحالة شرط من شروط إجابة الدعاء. إن الوصول إلى هذه الحالة هو حالة استجابة الدعاء، ولا سبيل للظهور إلا بخلق الاضطرار، وبما أننا الشيعة والمنتظرين لم يصلوا بعد إلى حالة الاضطرار، أو أننا غافلون عن هذا الاضطرار كيف لنا أن نتوقع الفرج والانفتاح ونحن محصورين في سحر الدعاء!

فبلوغ الاضطرار حاجة وفهم هذه الحاجة نعمة عظيمة. علينا أن نسأل الله أن يجعلنا خاشعين لهذه النعمة وألا يجعل احتياجاتنا الكاذبة نحوه وألا نضيع أعمارنا هدرا لاننا نحتاج إلى حجة الله الذي يأخذ بيدنا ويهدينا في هذا الطريق الطويل.

قال الامام الباقر عليه السلام: **«إذا لم تروا إمامكم، فادعوا الله ففيه قرب فرجكم.»** وهذا الحديث له نقاط كثيرة، قال عليه السلام: **«إذ لم تروا إمامكم، فادعوا الله ففي دعاءكم الفرج السريع.»** وهذا الحديث فيه وجوه كثيرة، قال عليه السلام: **«إذا لم تروا إمامكم فاستغيثوا به.»** وليس معناه الدعاء بالفرج فقط، بل النحيب والبكاء، وليس كفرد، فهذا الحديث موجه إلى الجماعة وفيه أنكم معشر الشيعة تندبون غياب إمامكم وغيبته.

ومتى يشتكي الإنسان وهو يتألم، في الواقع يقول الإمام الباقر عليه السلام: **«عليكم أيها الشيعة أن تتألموا حتى تتحقق رضا الإمام، وهذا هو أهم شرط لظهوره. حتى لا يحدث هذا الألم، لن يرسلوا العلاج.»**

وينبغي استبدال ثقافة الاضطرار الى حجة الله بثقافة الغفلة وخلق ثقافة عامة في المجتمع. للأسف فإن ثقافة وحضارة عصرنا الجاهلة التي خلقتها وأنتجتها وصدرتها للعالم على يد الصهيونية، تحاول تغطية الآلام وهموم الإنسان الأساسية واستبدالها بآلام وهموم زائفة.

ثقافة الدجال في عصرنا هذا، كما تعلمون، يقال أن الدجال هو من علامات ظهوره، ومن المحتمل أن تكون هناك ثقافة الخداع والسحر لدى الدجال. وهذه الثقافة أعور، فقد قيل في صفات الدجال أنه له عين واحدة. لديه عين واحدة على الدنيا والأشياء المادية، وليس لديه عين على الله. هذه الثقافة التي تصل فتنتها إلى العالم أجمع، من مفاتنها أنها تخلق فينا قلقاً زائفاً.

إن أعظم آلام المؤمنين يجب أن يكون غيبة الامام الكريم ويجب أن ننظر داخل أنفسنا ونرى ما هو أعظم آلامنا الآن؟ ثقافة المسيح الدجال تجعل الآلام الزائفة تتحول إلى آلام حقيقية وتنسى الآلام الحقيقية.

إن الثقافة الدجالية في عصرنا، التي لا تنظر إلا إلى الأشياء الحسية والمادية، تظهر الهموم والآلام كحاجات في كل المجتمعات، وتأتي الطقوس والكماليات والأزياء إلى الحياة بطريقة تصبح احتياجات أساسية وتسبب احتياجات زائفة الجشع والطمع والحرص داخل الانسان.

في هذه الثقافة، يتم نسيان الألم الرئيسي، وأحيانًا تجعل هذه الثقافة الناس جشعين. بحيث يهمل حاجته الأساسية ويذهب وراء حاجة كاذبة. ولذلك يجب أن يتغير القلب الذي لا يتألم بسبب قلة الانس مع ولي الله، لان هذا القلب مريض.

فإذا وصل المجتمع الشيعي إلى ذلك الألم سيبدأ العلاج، أي حتى لا يعود الألم والحاجة الى ولي الله لن يبدأ العلاج، فإننا نسعد بكلمة الحب، وليس الحب نفسه. لأن الحب نفسه يؤلم. نحن غافلون عن الحب الحقيقي لله عز وجل. لأنه ليس لدينا أي ألم.

إذا خرج المجتمع الشيعي من الغفلة و يكون منطقه عزيز علي يا سيدي أن أرى الجميع ولا أراك، و... عزيز علي أن يستهين بك الناس، سيكون الفرج تحقق.

الإمام الزمان عليه السلام لا يغيب ولا يخفى. نحن ضائعون ومختبئون ومهجرون، فكيف ننشغل بكل شيء في النهار ونحن عن الإمام غافلون. مجتمعنا يجب أن يصل إلى هذا المستوى، وإلا أرسل الله تعالى ١١ معصوما، ولكن المجتمعات لم تضطر الى ولي الله. هذا ما يحدث عندما لا يحترم ولي الله في المجتمع. سيتم نفي واحد، وسيتم سجن آخر وسيتم طعن آخر.

يصل الأمر إلى النقطة التي يضع فيها الله وليه خلف حجاب الغيبة. لأن المجتمع لا يشعر بالاضطرار وهو غافل. ولن يكون ارادة الله تعالى متمثلة بمصير الـ ١١ معصومين السابقين لأن بقية الله هو الاحتياطي الأخير. ولا يمنح الله هذه النعمة لمجتمع لا يعاني من الاضطرار. سيظهر الامام في للمجتمع عندما يضطر اصحابه على الأقل.

الشرط العام والشامل والعمومي لظهور الامام هو أن يتحرر أصحابه من الغفلة. لكن الامام له حضور و ظهور خاص. بحيث إذا كان الإنسان مضطرا، ينفتح الطريق ويحدث له ظهور الامام الخاص.

ماذا يجب أن نفعل إذا لنكون مضطرين؟ هناك شرطان للاضطرار، الشرط الأول هو الرضا بالدنيا وعدم الوقوع في هذه الثقافة الدجالية والرضا إلى حد الاكتفاء وتنفيذ روح القناعة والزهد تجاه الدنيا.

والشرط الثاني هو الخلوة والانس والتواصل مع ولي العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وينبغي أن نعتبر ذلك مهمة. حضارة اليوم لا تعتبر قضاء نصف ساعة منفرداً مع الإمام عملاً، بل تعتبر العمل في المكتب ٨ ساعات عملاً. أهل البيت عليهم السلام ركضوا للخلوة. فإذا حدث ذلك صار حباً، وأراح المحب من الألم، حيث ان المعاناة الشرط العام للظهور في المجتمع، و شرط الظهور الخاص هو أن يعاني الفرد في خلوته.

النصيحة للامام عجل الله تعالى فرجه الشريف

محمّدتقى الموسوي الاصبهاني

في الكافي بسند صحيح عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

«قال رسول صلى الله عليه وآله: «ما نظر الله عزّ و جلّ إلى وليّ له يجهد نفسه بالطاعة لإمامه و النصيحة، إلاّ كان معنا في الرفيق الأعلى.»[1]

و فيه بإسناده الصحيح أو الموثّق كالصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطب الناس في «مسجد الخيف»، فقال:

«نضّر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، و حفظها و بلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، و ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل للّه، و النصيحة لأئمّة المسلمين، و اللزوم لجماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم، المسلمون إخوة، تتكافى دماؤهم و يسعى بذمّتهم أدناهم.»[2]

في حديث مرسل عن رجل من قريش، قال:

قال سفيان الثوري: اذهب بنا إلى جعفر بن محمّد عليه السلام، قال [رجل من قريش] فذهبت معه إليه، فوجدناه قد ركب دابّته، فقال له سفيان: يا أبا عبد الله، حدّثنا بحديث خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف، قال عليه السلام: «دعني حتّى أذهب في حاجتي، فإنّي قد ركبت، فإذا جئت حدّثتك.» فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا حدّثتني. فنزل عليه السلام. فقال له سفيان: مر لي بدواة و قرطاس حتّى اثبته. فدعا به ثمّ قال:

«أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف: «نضّر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، و بلّغها من لم تبلغه، يا أيّها الناس ليبلّغ الشاهد الغائب، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، و ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل الله، و النصيحة لأئمّة المسلمين، و اللزوم لجماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم، المؤمنون إخوة، تتكافى دماؤهم، و هم يد على من سواهم، يسعى بذمّتهم أدناهم.»

فكتبه سفيان، ثمّ عرضه عليه، و ركب أبو عبد الله عليه السلام و جئت أنا و سفيان فلمّا كنّا في بعض الطريق قال لي: كما أنت، حتّى أنظر في هذا الحديث. فقلت له: قد و الله ألزم أبو عبد الله رقبتك شيئا لا يذهب من رقبتك أبدا.

– أيّ شيء ذلك؟

– ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، قد عرفناه، و النصيحة لأئمّة المسلمين، من هؤلاء الأئمّة الّذين يجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن أبي سفيان، و يزيد بن معاوية، و مروان بن الحكم؟ و كلّ من لا يجوز شهادته عندنا، و لا يجوز الصلاة خلفهم. و قوله: و اللزوم لجماعتهم، فأيّ الجماعة؟ مرجئ يقول: من لم يصلّ و لم يصم و لم يغتسل من جنابة، و هدم الكعبة، و نكح امّه، فهو على إيمان جبرئيل و ميكائيل، أو قدري، يقول: لا يكون ما شاء الله عزّ و جلّ، و يكون ما شاء إبليس؟! أو حروريّ يتبرّأ من عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، و شهد عليه بالكفر؟! أو جهمي يقول: إنّما هي معرفة الله وحده، ليس الإيمان شيء غيرها؟!

– ويحك، و أيّ شيء يقولون؟

– يقولون: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام و الله الإمام الّذي يجب علينا نصيحته، و لزوم جماعتهم، أهل بيته.

فأخذ الكتاب، فخرقه، ثمّ قال: لا تخبر بما أحدا.[3]

قد مرّ في المكرمة المكمّلة للأربعين، و في المكرمة التاسعة توضيح و تبيين: قوله عليه السلام: «**ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم**» إلخ، يحتمل أن يكون يغلّ بفتح الياء من الغلول بمعنى الخيانة، و هو الظاهر، كما في قوله تعالى: «**وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ**»[4]

و يحتمل أن يكون من الغلّ بمعنى الحقد و الشحناء، كما في قوله تعالى: «**وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ**»[5] و على التقديرين يمكن أن يكون إخبارا، و يمكن أن يكون إنشاء. و يحتمل أن يقرأ يغلّ بضمّ الياء من الغلّ، كما في قوله تعالى: «**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**»[6] فيكون ضد الإنشراح، و موافقا لقوله تعالى: «**وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ**»[7]

و على التقادير يمكن أن يكون «على» في عليهنّ للإستعلاء المعنويّ، و يمكن أن يكون بمعنى «في» كقوله تعالى: «**وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها**»[8]

و يمكن أن يكون بمعنى «مع» كقوله تعالى: «**وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ**»[9] أي مع حبّه، و أن يكون للسببيّة، كقوله تعالى: «**وَ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ**»[10]

و المسلم: يحتمل أن يراد به الأعمّ من المؤمن، و أن يراد به الأخصّ، أي المؤمن الكامل.

و النصيحة: من النصح، و هو في الأصل الخلوص، و إنّما سمّيت النصيحة نصيحة للخلوص من شوائب الأغراض النفسانيّة، ثمّ إنّ النصيحة قد تستعمل في إرادة الخير للمنصوح له، و قد يستعمل في كلّ فعل أو قول يراد به الخير للمنصوح له.

و اللزوم لجماعتهم: الظاهر أنّ المراد جماعة الأئمّة عليهم السّلام، بمعنى أنّ المؤمن من يعتقد و يقرّ بتمامهم، و أنّ من أنكر واحدا منهم كمن أنكر الجميع.

فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم: الظاهر أنّ الضمير الأوّل راجع إلى الأئمّة و الثاني راجع إلى المسلمين.

و الدعوة: يحتمل أن تكون بمعنى الدعاء، و يحتمل أن يكون المراد دعوة الخلق إلى الإيمان، و المعرفة بدلائلهم الظاهرة، و آثارهم الباهرة، فإنّهم الدعاة للخلق إلى الله، و الأدلّاء على الله بألسنتهم، و أفعالهم، و أخلاقهم، و صفاتهم، و معجزاتهم و كراماتهم.

و الحاصل من الاحتمالات المذكورة في معنى الحديث وجوه:

أحدها: أنّ هذه الامور الثلاثة امور يجب أن لا يكون قلب مسلم خائنا فيها و هذا الوجه مبنيّ على كون الجملة إنشائيّة، و تكون «على» بمعنى في، و أن تكون النصيحة بمعنى إرادة الخير للمنصوح.

و على هذا تكون الامور الثلاثة امورا قلبيّة، و يترتّب عليها و ينبعث منها الأعمال القالبيّة، و يكون الحديث الشريف بصدد بيان التكاليف القلبيّة المتعلّقة بالمكلّف الراجعة إلى الله تعالى و إلى أوليائه عليهم السلام،

فالإخلاص في العمل راجع إلى الله عزّ و جلّ، و إرادة الخير لأوليائه، و اللزوم لجميعهم، راجعان إلى رسوله و خلفائه، و هما يحصلان بأن يكون قلب المؤمن مهتمّا بإرادة الخير لهم، و الملازمة لهم بأجمعهم، و لا يقصد التوجّه و التشبّث بغيرهم، ممّن يدّعي مقامهم، و ذلك تكليف إسلامي، متوجّه إلى الخلق كافّة، من غير فرق بين المسلم و الكافر، لأنّ الكفّار أيضا مكلّفون بذلك و بغيره من التكاليف الشرعيّة الإلهيّة.

و تخصيص المسلم بالذكر في هذا المقام و في غيره من الأحكام، تشريف له بتوجيه الحكم و الخطاب إليه بسبب توجّهه إلى الحقّ، و أخذ معالم الدين، و خذلان للكافر، و إعراض عنه بسبب إعراضه عن الحقّ، قال الله عزّ و جلّ:

«**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**»،[11]

و قال تعالى:

«**وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ**»،[12]

و قال عزّ اسمه:

«**فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنا وَ لَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَياةَ الدُّنْيا**»[13]

الوجه الثاني: أنّ الامور المذكورة أي الإخلاص، و النصيحة للأئمّة، و الملازمة لهم، وسيلة و أسباب لحفظ القلب من الخيانة، و هذا الوجه مبنيّ على كون الجملة خبريّة، و يكون «على» بمعنى مع، أو للسببيّة و النصيحة على هذا الوجه يمكن أن يراد بها النصيحة القلبيّة، و هي إرادة الخير للمنصوح في جميع ما يتعلّق به، أو النصيحة في الأعمال البدنيّة، و المصارف الماليّة، و هي كلّ فعل أو قول يراد به الخير للمنصوح، فتدبّر.

الوجه الثالث: أن تكون الجملة خبريّة، و يكون الحديث بصدد بيان علائم المؤمن و هو المسلم الواقعي المنعوت في القرآن المجيد

بقوله عزّ و جلّ: «**وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقىٰ**»[14]

فإنّ حقيقة الإيمان معرفة الله عزّ و جلّ، و إخلاص العمل له، و معرفة ولاة الأمر: رسول الله و الأئمّة الطاهرين عليهم السّلام و ملازمتهم، و النصيحة لهم. و هذه امور لا يغلّ عليهنّ قلب المسلم الواقعي، و هذا الوجه يلائم كون يغلّ من الغلول بمعنى الخيانة، و كونه من الغلّ ضدّ الإنشراح كما لا يخفى.

الوجه الرابع: أن تكون الجملة خبريّة، و يقرأ «يغلّ» بضمّ الياء مبنيّا للمفعول و يكون «على» بمعنى مع، أو للسببيّة، و يكون المسلم بمعناه المعروف، و هو أعمّ من المؤمن، و يراد بأئمّة المسلمين أمير المؤمنين و الأئمّة المعصومين من ولده عليهم السلام.

و حاصل المعنى: أنّ كلّ مسلم اجتمع فيه تلك الامور، و هي إخلاص العمل لله، و النصيحة لأئمّة المسلمين، و اللزوم لجماعتهم، انشرح قلبه و سلم من طبع القلب، و كان ممّن شرح الله صدره للإسلام، فهو على نور من ربّه، و إذا لم تجتمع فيه تلك الامور طبع الله على قلبه، و كان مصداقا لقوله تعالى: «**وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ**...»[15]

فإنّ للكفر مراتب و درجات بعضها فوق بعض، و لكلّ مرتبة آثار خاصّة، نعوذ بالله تعالى، كما أنّ للإيمان أيضا مراتب و درجات بعضها فوق بعض، و لكلّ مرتبة آثار خاصّة، نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لتكميل مراتب الإيمان، و النصيحة لمولانا صاحب الزمان عليه السلام.

تتميم فيه تنبيه: إعلم أنّ الناصح لإمام زمانه عجل الله فرجه على ما ذكرنا و بيّنّا في هذا المقام: من يراقب حاله، و يواظب أعماله، بحيث تكون أفعاله و نيّاته الراجعة إلى إمامه خالصة عمّا يسوء إمامه، و يهتك احترامه، و يلاحظ في كلّ مقام ما هو الخير لمولاه عليه السّلام و ذلك المقصود لا يحصل للسالك إلاّ بمراقبة تامّة، و مواظبة مستدامة، و بصيرة في دين، و مجالسة لأهل التقوى و اليقين، و مجانبة عن المرتابين و الفاسقين، و إن لم يجد من يجالسه ممّن و صفناه اختفى في البيوت و لازم السكوت، و إن لم يجد بدّا من مجالسة من لا ينبغي مجالسته اكتفى بقدر الضرورة، و سنذكر ما يدلّ على هذه الجملة إن شاء الله.

الهوامش:

١. «الكافي»، ج ١، ص ٤٠٤، ح ٣؛ «الوافي»، ج ٢، ص ١٠١، ح ٣؛ «البحار»، ج ٢٧، ص ٧٢، ح ٧.
٢. «الكافي»، ج ١، ص ٤٠٣، ح ١؛ «الوافي»، ج ٢، ص ٩٨، ح ١؛ «الوسائل»، ج ١٨، ص ٦٣، ح ٤٣.
٣. «الكافي»، ج ١، ص ٤٠٣، ح ٢؛ «الوافي»، ج ٢، ص ٩٩، ح ٢؛ «البحار»، ج ٤٧، ص ٣٦٥، ح ٨٢.
٤. سورة آل عمران، الآية ١٦١.
٥. سورة الأعراف، الآية ٤٣.
٦. سورة المائدة، الآية ٦٤.
٧. سورة البقرة، الآية ٨٨.
٨. سورة القصص، الآية ١٥.
٩. سورة البقرة، الآيتان ١٨٨ و ١٧٧.
١٠. المصدر السابق.
١١. سورة التوبة، الآية ٦٧.
١٢. سورة إبراهيم، الآية ٢٧.
١٣. سورة النجم، الآية ٢٩.
١٤. سورة البقرة، الآية ٢٥٦.
١٥. سورة النساء، الآية ١٥٥.

المصدر: الاصفهاني، محمّد تقى، «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عجل الله فرجه»، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ج ٢، صص ٢٨٦-٢٩١؛ بالتلخيص.

كليم الله محمّد نواز

كليم الله محمّد نواز ولد عام ١٣٧٩هـ. (١٩٦٠م.) في «باكستان» بـ«مظفر كار»، كان معتنقاً لمذهب أهل السنّة، ثمّ تعرّف على مذهب أهل البيت عليهم السلام عن طريق حضوره في المجالس الحسينيّة التي كان يقيمها الشيعة، وكان ذلك محفّزاً له للبحث في مجال تثبيت عقائده الدينية.

معطيات النهضة الحسينيّة

وجد كليم الله محمّد نواز بأنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام تتضمّن أبعاد مختلفة، وقد تجلّت فيها حقائق كثيرة كشفت اللبس عن نفوس الكثير من الناس على مرّ العصور، وأنّ هذه النهضة لها صلة مباشرة بالأحداث الخطيرة التي وقعت بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام لم ينهض إلاّ لتعميق المنهج المحمّدي في نفوس الأمّة، وإرجاعهم إلى الصراط المستقيم الذي بدأ انحرافه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

وأنّ **يزيد بن معاوية** لم تصل إليه الخلافة إلاّ من خلال تمهيدات الخلفاء السابقين الذين وقفوا بوجه أهل البيت عليهم السلام، وفسحوا المجال للأمويين والطلقاء للتسرّب في الحكم.

ومن هنا نشأت نهضة الإمام الحسين عليه السلام لتغربل الأمة، وتميّز بين الحقّ والباطل، وتكشف للناس – على مرّ العصور – الحقائق التي كانت خافية عنهم.

نهضة الإمام الحسين عليه السلام عطاء وقوة

إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن مجرّد حدث تاريخي مختص بزمن وقوعه فقط، بل أصبحت هذه النهضة قضيّة حيّة تمدّ الناس – على مرّ العصور – بالعطاء والقوة والعزيمة، وقد تركت هذه النهضة التي امتزجت باللوعة والمأساة أثراً كبيراً في أعماق وجدان الأمّة الإسلاميّة ولاسيما الشيعة، فدفعهم هذا الأمر إلى إحياء هذه المناسبة دائماً، وأيّام محرم وصفر بوجه خاص.

وأصبحت نهضة الإمام الحسين عليه السلام – من هذا المنطلق – مدرسة ترفد أبناء المجتمع بعلوم ومعارف أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولهذا تأثّر الكثير من الذين كانوا في غفلة عن منزلة أئمة أهل البيت عليهم السلام وكانوا في غفلة عمّا جرى عليهم.

التأثّر بنهضة الإمام الحسين عليه السلام

يقول كليم الله محمّد نواز:

كان لقضية عاشوراء وتضحية الإمام الحسين عليه السلام في ذلك اليوم أثراً بليغاً في نفسي، ومن خلالها تفتّحت آفاق رؤيتي، فطالعت التاريخ لأتعرّف على بدء الانحراف الذي دفع الإمام الحسين عليه السلام من أجل إصلاحه.

ومن هذا المنطلق تبيّن لي منشأ الفتنة التي ابتليت الأمّة بها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

التأثّر بالمجالس الحسينيّة

يضيف كليم الله محمّد نواز:

واصلت الحضور في المجالس الحسينيّة فتعرّفت في هذه المجالس على شخصيات شيعية واعية، ففتحت معهم أبواب الحوار، وكنت في كلّ يوم أجلس معهم، وأصغي إلى الحقائق التاريخية التي كانوا يبيّنونها لي بالأدلة والبراهين الموثّقة.

وبمرور الزمان تبلورت قناعة كليم الله محمّد نواز بأحقيّة مذهب أهل البيت عليهم السلام، ولكنّه وجد أمامه الكثير من الموانع النفسية والاجتماعيّة التي كانت تمنعه من تغيير انتمائه المذهبي.

ولكنه فكّر ذات يوم بأنّ اعتناق الحقّ يتطلّب التضحية، ولابدّ له من مواجهة أهوائه النفسية بقوة. فأحدث في نفسه ثورة كبيرة لتطهير ذاته من الجهل، والموروث العقائدي والرذائل النفسية.

الانتصار في التغلّب على الأهواء

تمكّن كليم الله محمّد نواز بعد مجاهدة لنفسه أن يتغلّب على أهوائه النفسية، وأن يعلن التزامه بالمذهب الحقّ، فأعلن استبصاره في شهر محرّم الحرام عام ١٤٢٢هـ.، والتحق بركب أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولم يهتم بما سيقول، عنه أصدقاؤه وأقرباؤه؛ لأنّه وجد نفسه بأنّه قد عرف الحقّ، ويحتّم عليه التكليف الشرعي التمسّك بهذا الحقّ.

استبصار زوجته وأولاده

وجد كليم الله محمّد نواز بعد الاستبصار، بأنّه ينبغي أن يبيّن للآخرين الأدلّة التي دفعته للاستبصار؛ لينقذهم من الجهل الذي هم عليه، وليذيقهم حلاوة طعم الحقّ كما ذاقه هو، فبدأ بزوجته وأولاده فعقد لهم العديد من الجلسات، وبيّن لهم الأدلة والبراهين التي دفعته إلى الاستبصار، ودعاهم إلى البحث.

فلم تمض فترة إلاّ واستبصرت زوجته وأولاده الخمس، وكان من أهم الأمور التي دفعتهم لتقبّل كلامه بعد البحث والوصول إلى القناعة، أنّهم وجدوا بأنّ شخصية كليم الله محمّد نواز تغيّرت نحو الأفضل والأكمل بعد الاستبصار، فعرفوا بأنّ المذهب الشيعي يحتوي على رؤية كونية مبتنية على الأسس والقواعد الرصينة القادرة على إضفاء الكمال على منتميه.

مواصلة البحث

لم يترك كليم الله محمّد نواز البحث بعد الاستبصار، بل واصل بحثه في الصعيد الديني، وبدأ بقراءة كتب أحاديث وأقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام، وركّز اهتمامه على كتاب نهج البلاغة.

وبهذا شعر كليم الله أنّه يزداد يوماً بعد آخر معرفة تقرّبه إلى الله تعالى، وتعبّد له الطريق للوصول إلى رضوانه.

توصيته لجميع المسلمين

يقول كليم الله:

أنا آمل أن يهتم جميع المسلمين بدينهم، فيخصصوا لأنفسهم وقتاً لطلب العلم ومعرفة الحقّ، وأن لا يبقوا في دينهم مجرّد مقلّدين في الأصول العقائدية والأسس الفكرية ليقودهم الآخرون وهم في غفلة يعمهون.

المصدر: «موسوعة من حياة المستبصرين»، مركز الأبحاث العقائدية، ج ٦، صص ١٤٩-١٥٢.

حق المساواة وحق التمتع بالعدل

لقد أعلن «القرآن الكريم» ان الناس متساوون جميعاً في أصل الخلقة، قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...»[1]

فقضى بذلك على عبودية البشر للبشر، واعتبرهم جميعاً مخلوقات الله تعالى، وبذلك وضع صمّام الأمان على كل نزعةٍ نحو الطغيان على أساس العرق أو اللّون أو اللّسان. وأوجد شعوراً بالمساواة بين الحاكم والمحكوم، والغني والفقير، وبين القوي والضعيف، وأصبح مقياس الكرامة والفضل: التقوى والعمل الصالح.

إنّ الاعتقاد بمساواة البشر شرط لابدَّ منه لقيام العدل الذي جعله القرآن الكريم غاية النبوات، قال تعالى:

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...»[2]

وكيف يقام العدل بين الجماعات إذا كانوا يعتقدون أنهم طبقات متمايزة أو أُسر متفاضلة؟ وقد مرَّ أنّ النبي ﷺ كان أول من أعلن مبدأ المساواة في حجة الوداع، وكان يساوي بين المسلمين في العطاء.

ولقد سار الإمام علي عليه السلام – عندما استلم دفة الخلافة – على خطى المنهج النبوي، فساوى بين الناس في التعامل وفي العطاء، وكان يأخذ كأحدهم، وقصته مع أخيه **عقيل** مشهورة حين طلب منه زيادة في عطائه، فقال له: **«إصبر حتى يخرج عطائي.»** فلم يقبل، فأبى أن يعطيه أكثر من عطائه. وبلغ من تمسكه بهذا الحق حدّاً، بحيث أنه وجد في مال جاءه من «اصفهان» رغيفاً فقسمه سبعة أجزاء كما قسم بيت المال، وجعل على كل جزء جزاً.[3]

الهوامش:

١. سورة الحجرات، الآية ١٣.

٢. سورة الحديد، الآية ٢٥.

٣. راجع: «في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام»، السيد محسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٠ هـ.، ج ١، صص ٢٦-٧٣.

المصدر: ذهبيات، عبّاس، «الحقوق الإجتماعية في الإسلام»، مركز الرسالة، ١٤١٧هـ.

بعض صفات اللّه جلّ اسمه و منشأ الخلاف حولها: أنّ للّه يداً

تنازعنا معاشر المسلمين على مسائل الخلاف في الداخل ففرّق أعداء الإسلام من الخارج كلمتنا من حيث لانشعر، وضعفنا عن الدفاع عن بلادنا، و سيطر الأعداء علينا، وقد قال سبحانه و تعالى: **«وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَ لَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ»**[1]

و ينبغي لنا اليوم و في كل يوم أن نرجع إلى الكتاب والسنّة في ما اختلفنا فيه و نوحّد كلمتنا حولهما، كما قال تعالى: **«فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ»**[2]

و في هذه السلسلة من البحوث نرجع إلى الكتاب والسنّة ونستنبط منهما ما ينير لنا السبيل في مسائل الخلاف، فتكون بإذنه تعالى وسيلة لتوحيد كلمتنا.

عند اهل السنة

جاء في صحيحي البخاري و مسلم و سنن أبي داود وتوحيد ابن خزيمة و اللّفظ لمسلم:

عن **أبي هريرة** يقول قال رسول الله ﷺ:

«إحتج آدم و موسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا، خيّبتنا وأخرجتنا من الجنّة فقال له آدم أنت موسى اصطفاك الله بكلامه و خطّ لك بيده أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة.» فقال النبي: «بحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى.»[3]

وفي صحيحي **البخاري** و **مسلم** و«سنن الترمذي» و«سنن أبي داود» و«تفسير الطبري» و«تفسير ابن كثير» و«تفسير زاد المسير» لـ **ابن الجوزي** و«تفسير السيوطي»:

عن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر من اليهود الى النبي ﷺ فقال: يا محمّد يا أبا القاسم إنّ الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع ثمّ يهزّهن فيقول أنا الملك. فضحك رسول الله تعجباً مما قال الحبر تصديقاً له ثم قرأ: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ»[4]

وفي «صحيح البخاري» و«كنز العمال»:

عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:

«يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحّاءُ الليل و النهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات و الأرض فإنّه لم يغض ما في يده وقال: وعرشه على الماء وبيده الأخرى والميزان يخفض ويرفع.»[5]

و عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يقبض الله الأرض و يطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض.»[6]

وجاء في «كتاب التوحيد» لـ **ابن خزيمة** في باب إثبات اليد للخالق البارىء جلّ وعَلا، أنّ الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله[7] ... ثمّ ذكر مجموعة من الآيات منها:

١. **«وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...»**[8]

٢. **«فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»**[9]

٣. **«... تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»**[10]

عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام:

في المسلمين من درسنا آراءهم في صفات الله المذكورة استناداً لروايات أبي هريرة وغيره و قد أجاب أئمة أهل البيت عليهم السلام في الردّ على مثل هذه الشّبهات الناتجة عن انتقال بعض الأفكار التوراتية والتمسّك بظاهر القرآن وحمله على معانيه اللغوية. وفيما يلي دراسة تلك الروايات على ضوء هدي أهل البيت عليهم السلام:

و جاء في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام حول تفسير ما المراد من يد الله:

عن **محمّد بن مسلم** قال سألت أبا جعفر عليه السلام:

قلت قوله عزّ وجلّ: «قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ...» فقال: «اليد في كلام العرب القوة و النعمة. قال: «اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ»، وقال: «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ...»، أي بقوة، وقال: «... وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ...»، أي قواهم. ويقال لفلان عندي أيادي كثير أي فواضل وإحسان وله عندي يد بيضاء أي نعمة.»[11]

وعن **محمّد بن عبيدة** قال:

سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس «... مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ...»، قال: «يعني بقدرتي وقوتي.»[12]

وعن **محمّد بن عيسى بن عبيد** قال:

سألت أبا الحسن علي بن محمّد العسكري عن قوله تعالى: «... وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ...»، فقال: «ذلك تعبير الله تبارك وتعالى لمن شبهه بخلقه ألا ترى أنّه قال: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...»، ومعناه إذ قالوا إنّ الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه كما قال عزّ وجلّ: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ»، ثم نزه عزّ وجلّ عن القبضة واليمين فقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ»[13]

وما جاء عن أهل البيت يدركه كل ملم باللغة العربية لانّه مطابق لاستعمالاتها وأدواتها التعبيرية.

يقول الراغب الأصفهاني في «مفردات القرآن» وعلماء مصريّين في «معجم ألفاظ القرآن الكريم» أنّ اليد تعني عضو البدن وقد استعملت في معاني اخر مثل الشيء تحت تصرّف أحد ما يقال «في يده» وكذلك الأمر إذا كان الشيء في ملكه أو تحت أمره و اختياره.

ثمّ يذكر هؤلاء العلماء المصريين تسعة معان مجازية لكلمة اليد، منها ما جاء في الآيات الثلاثة السابقة و منها الآية الكريمة بِيَدِهِ مَلَكوت كُلّ شيء، التي تعني زمام أمر الوجود و الحكم خاضعين له وكذلك الحال في بِيَدِكَ الخَيرُ، أي إنّ الخير في إختيارك، و يَدُ اللهِ مَغلولَة

عند اليهود تعني يده التي هي عضو من بدنه مكبلة فلا يتمكن من الإنفاق، وإن «مبسوطة» يعني يده مفتوحة ويمكنه الإنفاق ونظير الآية التي تخاطب النبي صلى الله عليه وآله يدك مغلولة.

ما أعجب سلوك أتباع مدرسة الخلفاء فهؤلاء يفسرون اليد في الآية النازلة بشأن النبي صلى الله عليه وآله وَ لا تَجعَل يدَكَ مَغلولَة بالمعنى المجازي عبر به عن البخيل الذي لا يقدر من قبله على إخراج شيء من ماله.[14]

لكنهم يفسرون اليد في الآية يَدُ اللهِ مَغلولَة بأنّها عضو من أعضاء البدن!! فما هو سبب سوء الفهم هذا عند بعض علماء مدرسة الخلفاء.

و بالتحقيق و المتابعة يعرف السبب الرئيسي بالتأويل جاء فيه أي لا تكن بخيلًا منوعاً لا تعطي أحد شيئاً كما قالت اليهود يد الله مغلولة أي نسبوه الى البخل.

الخاطىء لكلمة «يد» عندهم فالسبب هو وجود أحاديث مروية في مدرسة الخلفاء نقلًا عن صحابة الرسول صلى الله عليه وآله.

كما وإنّهم ينهجون ذات الطريقة في نسبة وجود (رجل وساق) لله – معاذ الله.

الهوامش:

١. سورة الانفال، الآية ٤٦.
٢. سورة النساء، الآية ٥٩.
٣. «صحيح مسلم»، كتاب القدر، باب حجاج آدم موسى، صص ٢٠٤٢-٢٠٤٣، ح ١٣، ١٤ و١٥؛ «صحيح البخاري»، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، ج ٤، ص ٩٨؛ «كتاب التوحيد»، باب قوله وكلّم الله موسى تكليما، ج ٤، ص ١٩٩؛ «سنن أبي داود»، كتاب السنة، باب في القدر، ج ٤، ص ٢٢٢؛ «توحيد ابن خزيمة»، صص ٥٤-٥٧.
٤. «صحيح البخاري»، كتاب التفسير سورة الزمر، باب ما قدروا الله حقّ قدره، ج ٣، ص ٢٢، كتاب التوحيد، باب إنّ الله يمسك السموات و الأرض أن تزولا، ج ٤، ص ١٩٢؛ «صحيح مسلم»، كتاب صفة القيامة الجنة والنار، صص ٢١٤٧-٢١٤٨، ح ١٩، ٢٠، ٢٤ و٢٥؛ «سنن الترمذي»، كتاب التفسير سورة الزمر، ج ٥، ص ٣٧١؛ «سنن أبي داود»، ج ٤، ص ٢٣٤؛ «تفسير الطبري»، ج ٥، صص ١٨-١٩؛ «تفسير ابن كثير»، ج ٤، صص ٦٢-٦٣؛ «تفسير زاد المسير»، ابن الجوزي، ج ٧، صص ١٩٥-١٩٦؛ «تفسير السيوطي»، ج ٥، صص ٣٣٤-٣٣٥.
٥. «صحيح البخاري»، كتاب التوحيد، باب قول الله بما خلقت بيدي، ج ٤، ص ١٨٦؛ «كنز العمال»، ج ١، ص ٢٢٤، ح ١١٣٠ و١١٣١؛ «الترغيب و التهذيب»، ج ٢، ص ٤٨؛ «تفسير ابن كثير»، ج ٣، ص ١٢٦؛ «تفسير القرطبي»، ج ٦، ص ٢٤٠؛ «تفسير السيوطي»، ج ٢، ص ٥٢٦.
٦. «صحيح البخاري»، ج ٣، ص ١٢٢، كتاب التفسير باب تفسير سورة الزمر؛ «صحيح مسلم»، كتاب صفاة المنافقين، ح ٢٣، ص ٢١٤٨.
٧. «توحيد ابن خزيمة»، ص ٥٣.
٨. سورة المائدة، الآية ٦٤.
٩. سورة يس، الآية ٨٣.
١٠. سورة آل عمران، الآية ٢٦.
١١. «توحيد الصدوق»، ص ١٥٣، ح ١.
١٢. المصدر السابق، صص ١٥٣-١٥٤، ح ٢.
١٣. المصدر السابق، ص ١٦١، ح ١.
١٤. «تفسير القرطبي»، ج ١٠، ص ٢٥٠، تفسير الآية؛ «تفسير ابن كثير»، ج ٥، ص ٦٣.

المصدر: العلامة العسكري، سيد مرتضى، «على مائدة الكتاب السنة»، طهران، المجمع العلمي الاسلامي، ١٤١٨هـ.ق.

آداب لبس الثياب الجديدة و الدعاء عند اللبس

سُئل أبا جعفر عليه السلام عن الرجل يلبس الثوب الجديد قال:

«اللهم اجعله ثوب يمن و تقى و بركة، اللهم ارزقني فيه حسن عبادتك، و عملا بطاعتك، و لأدآء شكر نعمتك، الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي و أتجمّل به في الناس.»[1]

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله إذا لبست ثوبا جديدا أن أقول: «الحمد لله الذي كساني من اللباس ما أتجمّل به في الناس، اللهم اجعلها ثياب بركة أسعى فيها لمرضاتك، و أعمّر فيها مساجدك» و قال: يا عليّ من قال ذلك لم يتقمّصه حتى يغفر له.»[2]

روي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه كان يلبس ثيابه ممّا يلي يمينه، فإذا لبس ثوبا جديدا دعا بقدح من ماء فقرأ فيه إنّا أنزلناه في ليلة القدر عشر مرّات، و قل هو الله أحد عشر مرات، و قل يا أيّها الكافرون عشر مرات، ثمّ نضحه على ذلك الثوب، ثم قال:

«من فعل هذا بثوبه قبل أن يلبسه لم يزل في رغد من العيش ما بقي منه سلك.»[3]

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام إذا كسى الله المؤمن ثوبا جديدا فليتوضأ و ليصلّ ركعتين. يقرأ فيهما أمّ الكتاب و آية الكرسي و قل هو الله أحد و إنّا أنزلناه في ليلة القدر ثمّ ليحمد الله الذي ستر عورته و زيّنه في النّاس و ليكثر من قول «لا حول و لا قوة إلا بالله» فإنّه لا يعصي الله فيه، و له بكلّ سلك فيه ملك يقدّس له و يستغفر له و يترحّم عليه.»[4]

آداب لبس السراويل

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«أوصى الله عزّ و جلّ إلى إبراهيم أنّ الأرض قد شكت إلى الحياء من رؤية عورتك فاجعل بينك و بينها حجابا، فجعل شيئا هو أكبر من الثياب من دون السراويل فلبسه فكان إلى ركبتيه.»[5]

عن «جامع البزنطي»، عنهم: **من لبس سراويله من قيام لم تقض له حاجة ثلاثة أيّام.**[6]

ورد في فقه الرضا عليه السلام:

«و إذا أردت أن تلبس السراويل فلا تلبسه و أنت قائم و البس و أنت جالس فإنه يورث الجبن و الماء الأصفر و يورث الغم و الهم و قل: «بسم الله اللهم استر عورتي و لا تهتكني في عرصات القيامة، و اعف فرجي، و لا تخلع عنّي زينة الإيمان.»[7]

الهوامش:

١. «الكافي»، ج ٦ ص ٤٥٨ ح ١.
٢. «الوسائل»، ج ٣، ص ٣٧٣، باب ٢٧، من أبواب أحكام الملابس، ح ٢.
٣. المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٧٢، باب ٢٦، من أبواب أحكام الملابس، ح ٤.
٤. المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٧١، باب ٢٦، من أبواب أحكام الملابس، ح ١.
٥. المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥٣، باب ١١، من أبواب أحكام الملابس، ح ١.
٦. المصدر السابق، ج ٣، ص ٤١٧، باب ٦٨، من أبواب أحكام الملابس، ح ٥.
٧. المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٩، باب ٣٤، من أبواب أحكام الملابس، ح ١.

وصايا الآباء للابناء: وصايا لقمان القسم الاوّل

• قال لقمان لابنه: يا بني أنهاك عن شيئين، عن الكسل والضجر، فانك اذا كسلت لم تؤدي حقا، واذا ضجرت لم تصبر على حق.[١] أوصى حكيم ولده فقال: يا بني ان أردت الخلاص فعليك بشيئين: لا تضع ما عندك الاّ في حقه، ولا تأخذ ما ليس لك الاّ بحقه. تحصّن يا بني من الساعي عليك بشيئين: بالمداراة وحسن المعاشرة، فانك لا تعدم احد شيئين: اما صداقة تحدث بينكما بؤمنك شره، واما فرصة تظفرك به.[٢]

• يا بني احفظ عنّي ثلاثة: وقّر أباك تطل ايامك، وقّر امك ترى لبنيك بنينا، ولا تحد النظر الى والديك فتعقهما.[٣]

• واعلم يا بني: أن الايام ثلاثة: أمس: يوم ماضي كأن لم يكن، وغد: يوم منتظر كأن قد أتى، واليوم: مقيم بغنيمة الا كآيس لتزود الخيرات وتقطعه الفجرة بالأماني، مع أنها ليست ايام ولكنها ساعات، وليست ساعات ولكنها اوقات أقل من ارتداد الطرف.[٤]

• واعلم ان الناس في الدنيا بين ثلاثة احوال حسنات وسيئات ولذات، وفي الآخرة بين ثلاثة احوال درجات ودركات ومحاسبات، فمن عمل في الدنيا بالحسنات نال في الآخرة الدرجات، ومن ترك في الدنيا السيئآت نجى في الآخرة من الدركات، ومن هجر في الدنيا اللذات خلص في الآخرة من المحاسبات...[٥]

• واعلم يا بني: ان انصف الناس من جمع ثلاثا: تواضعا عن رفعة وزهداً عن قدرةٍ، وانصافاً عن قوةٍ. وعليك بالقنوع، ففيه ثلاث خلال: صيانة النفس، وعز القدر، وطرح مؤن الاستكبار. ولا تضع المعروف الى ثلاثة: اللئيم فانه بمنزلة السبخة، والفاحش فانه يرى أن الذي صنعت اليه انما هو مخافة الفحشة، والاحمق فانه لا يعرف ما اسديت اليه...[٦]

• واعلم أن الشكر ثلاث منازل : هو لمن فوقك بالطاعة ، ولنظيرك بالمكافأة ، ولمن دونك بالافضال...[٧]

• لا تطلب حاجتك يا بني من ثلاثة: لا من كذاب فانه يقربها بالقول ويباعدها بالفعل، ولا من احمق فانه يريد أن ينفعك فيضرّك، ولا ممن له أكلة من جهة رجل فانه يؤثر اكلته على حاجتك...[٨]

• اياك يا بني والكذب، فان المرء لا يكذب الاّ من ثلاثة اشياء: اما لمهانة نفسه، او لسخافة رأيه او لغلبة جهله...[٩]

• واحذر مشاورة ثلاثة: الجاهل والحاسد وصاحب الهوى...[١٠]

• واعلم أن ثلاثة أفضل ما كان لاغناء بهم عن ثلاثة: احزم ما يكون الرجل لا غنى به عن مشاورة ذوي الرأي، وأعف ما تكون المرأة لاغنى بها عن الزوج، واوفر ما تكون الدابّة لا غنى بها عن الوسط...[١١]

• ثلاث هن للكافر مثل ما هن للمسلم: من استشارك فانصح له، ومن ائتمنك على أمانة فأدها اليه، ومن كان بينك وبينه رحم فصلها...[١٢]

• قال عليه السلام عند وفاته لولده الحسن عليه السلام: «يا بني احفظ عني اربعا: قال عليه السلام: و ما هن يا ابتي ؟ قال: اعلم أن اغنى الغنى العقل، واكبر الفقر الحمق، واوحش الوحشة العجب، واكرم الحسب حسن الخلق.»[١٣]

• يا بني توق خمس خصال تأمن الندم: العجلة قبل الاقتدار، والتثبط مع سقوط الاعذار، واذاعة السّر قبل التمام، والاستعانة بالحسدة وأهل الفساد، والعمل بالهوى وميل الطباع...[١٤]

• يا بني احثك على ست خصال ليس منها خصلة الا تقّربك الى رضوان الله تعالى وتباعدك من سخطه: الأوله ان تعبد الله لا تشرك به شيئا، الثانية الرضا بقدر الله تعالى فيما احببت او كرهت والثالثة تحب في الله وتبغض في الله، والرابعة تحب للناس ما تحب لنفسك، والخامسة كظم الغيظ والاحسان الى من اساء اليك، والسادسة ترك الهوى ومخالفة الردى...[١٥]

• ستة تحتاج الى ستة اشياء: حسن الظن يحتاج الى القبول، والحسب يحتاج الى الأدب، والسرور يحتاج الى الامن، والقراتة تحتاج الى الصداقة، والشرف يحتاج الى التواضع، والنجدة تحتاج الى الجد...[١٦]

• ست خصال لا يطيقها الا من كانت نفسه شريفة: الثبات عند حدوث النعمة الكبيرة، والصبر عند نزول الرزية العظيمة، وجذب النفس الى العقل عند دواعي الشهوة، ومداومة كتمان السّر، والصبر على الجوع، واحتمال الجار...[١٧]

الهوامش:

١. «معدن الجواهر»، ص ٢٤.
٢. المصدر السابق، باب ذكر ما جاء في اثنين، ص ٢٩.
٣. المصدر السابق، ص ٣٧.
٤. المصدر السابق، ص ٣٧.
٥. المصدر السابق، باب ذكر ما جاء في ثلاثة، ص ٣٧.
٦. المصدر السابق.
٧. المصدر السابق.
٨. المصدر السابق.
٩. المصدر السابق.
١٠. المصدر السابق.
١١. المصدر السابق.
١٢ المصدر السابق، ص ٣٨.
١٣. المصدر السابق، ص ٥٥.
١٤. المصدر السابق.
١٥. المصدر السابق.
١٦. المصدر السابق.
١٧. المصدر السابق.
١٨. المصدر السابق.

المصدر: العلوي، السيد علي بن الحسين، «الأثر الخالد في الولد والوالد»، منشورات دار الذخائر.

مدخل دراسة، تعوزه الفهرسة

و لقد كان بودّي أن أسهم بدوري ببحوث تتناول بعض جوانب حياتهم عليهم السلام. و هذه أمنية عزيزة علي، و أثيرة لدي. و قد كنت قبل سنوات قد سجلت بعض النقاط، المؤهلة للبحث بصورة اكثر الحاحا، على أن تمثل بمجموعها مدخلا معقولا لدراسة حياتهم عليهم السلام، و إن كانت ربما تكون لا تستوعب كل ما يجب، و ما ينبغي.

و قد بقيت هذه النقاط متناثرة تائهة، يعوزها التنسيق، و التبويب و الفهرسة و قد سنح بخاطري الآن ان أقدمها إلى القرّاء كما كانت عليه، علّ أن ينفع الله بها، من يسعفه التوفيق للبحث و التقصي في حياتهم عليهم السلام.

و النقاط هي التالية

١. إن من الطبيعي اعطاء لمحة عن تواريخهم عليهم السلام كيوم الولادة، و يوم الوفاة، و السنة و الشهر، و محل السكنى و الاولاد و الزوجات، و الاصحاب و سائر النقاط التي تمثل الجانب الفردي و الشخص لهم عليهم السلام.

و ذلك بصورة علمية صحيحة، فيها من التحقيق، ما يزيل كل شبهة و ريب أو ترديد.

٢. لما ذا تعدد الائمة عليهم السلام، سؤال لا بد من الاجابة عليه .. و هل يمكن أن يكون لما نراه من اختلاف و تميّز المواقف لكل إمام بالنسبة للامام الآخر، فهذا تراه يهتم بالتربية العقائدية، و ذاك يهتم بنشر المعارف الفقهية، و ثالث يهتم بالناحية السياسية، إلى غير ذلك مما تفرضه عقليات، و حاجات الأمة في الأزمنة المختلفة- هل يمكن أن يكون لذلك صلة بتعدد الائمة عليهم السلام، أم أن ذلك لمحض الصدفة و اقتضاء الحالات و الظروف الطارئة؟ مع العلم بأن بعض الائمة قد تصدوا لاكثر من مجال أيضا.

٣. بيان الطرق التي اتبعها الأئمة لمعالجة الانحرافات الفكرية، و ايراد امثلة على ذلك، سواء في النواحي العقائدية، أو الفقهية، أو في التفسير، أو في السلوك الانساني، و الأخلاقيات، أو في المواقف من القضايا الحساسة و المصيرية، و غير ذلك.

٤. محاولاتهم طرح الاسلام العملي، الذي يرتبط بالغيب، و يندفع نحوه، مع مقارنة بين ذلك و بين ظاهرة التصوف الذي اهتم بالرياضة الروحية، و أهمل الجانب الثقافي و العلمي. و بيان الفوارق بينهما و كذلك الحال بالنسبة لذلك الاسلام النظري الذي اهتم بالناحية الثقافية و العلمية، و حشر المفاهيم الجافة و النظريات الفارغة من النفحات الروحية، و من الارتباط بالغيب.

٥. الملاحظة الدقيقة لموقفهم عليهم السلام من أهل الحديث، و من المعتزلة، و سائر الحركات الدينية و الفكرية و الفرق المختلفة التي كانت تحاول فرض نفسها، و بلورة افكارها هذا بالاضافة إلى مواقفهم عليهم السلام من الفقهاء المنحرفين، و علماء السوء، و وعاظ السلاطين.

٦. و لا بد أيضا من إلماحة سريعة إلى سرّ موقفهم عليهم السلام السكوتي في قضية خلق القرآن، و سبب أمرهم شيعتهم بعدم التدخل في الجدل القائم حولها.

مع الماحة سريعة بأهداف طرح مسألة كهذه، ثم النتائج التي تحققت في هذا الاتجاه.

٧. ثم هناك موقفهم عليهم السلام من الثقافات الغريبة الوافدة عن طريق أهل الكتاب، و عن طريق الترجمات لكتب سائر الأمم، أو اختلاط المسلمين بعد الفتوحات، و غيرها بالأمم الأخرى، و اطلاعهم على ما عندها من أفكار و مذاهب.

و لا يجب أن ننسى مواقفهم عليهم السلام من التحريفات، التي كان يتعرض لها الاسلام الخالص من قبل اليهود و النصارى الذين اظهروا الاسلام. و من قبل القصاصين، و أهل الحديث من طالبي الشهرة و المال. و كذلك تحريف الحكام و السلاطين للاسلام، ليوافق مذاهبهم و مشاربهم السياسية، و يخدم طموحاتهم، و توجهاتهم السياسية، و مصالحهم الشخصية، أو القبلية و الإقليمية.

٨. و لا بد من بيان موقفهم من تفسير القرآن بصورة غير واقعية، و من التلاعب بالسنة النبوية الشريفة.

ثم التعرف على الموازين و المعايير و الضوابط التي اتبعوها أو أرشدوا إليها و التي يتمكن الناس من خلالها من معرفة ذلك الجانب العريض من النصوص، و استبعاده كما و يتمكن شيعتهم بواسطتها من فهم القرآن فهما سليما غير متأثر بما هو غريب عن الدين و تشريعاته، و عن الاسلام و مفاهيمه.

و دراسة قضية الكندي هنا تصبح ضرورية لفهم بعض أساليب الأئمة في مواجهة حالات الانحراف الفكري، إذا كانت منطلقة من شبهة، و لم يكن لها خلفيات، ذات طابع غير اخلاقي، و لا إنساني.

٩. كما لا بد من دراسة السرّ في أنهم عليهم السلام لم يتركوا للناس آثارا مكتوبة، ما دام أن ذلك يحسم النزاع في أمور كثيرة. مع أن تدوين العلوم كان في زمنهم على قدم و ساق، و رغم أن أمير المؤمنين عليه السلام قد كتب الجفر و الجامعة و غير ذلك، لكن ما كتبه عليه السلام قد بقي عندهم، و لم يتجاوزهم إلى غيرهم.

و ذلك يحتم دراسة صحيفة الرضا عليه السلام، و غير ذلك مما ينسب إليهم عليهم السلام لمعرفة إن كانت من املاءاته، أم أنها من مكتوباته، و قد بقيت لانه كان ثمة فرق بين هذا العلم و ذاك، أو بين عصر و آخر، لا بد من تحقيق ذلك و إيضاحه.

أضف إلى ذلك أننا نجدهم عليهم السلام يشجعون شيعتهم باستمرار على تدوين العلوم، و اتقانها، لا بد من تفصيل وقائع ذلك بصورة واضحة.

١٠. لا بد من البحث حول كرامات الأئمة عليهم السلام، و الاجابة على سؤال: هل كان الأئمة بحاجة إلى ظهور تلك الكرامات على أيديهم؟ و ما الفرق بين الكرامة و المعجزة؟ ثم ما الفرق بين كراماتهم و بين ما ينسب الى غيرهم من المتصوفة و سواهم. و هل كل ذلك صحيح؟ أم أن كرامات الصوفية و غيرهم موضع شك و ريب؟ لا بد من ذكر مبررات ذلك إن كان. و إذا كان ثمة مبالغات غير معقولة، فلا بد من الاشارة إلى ذلك مع التركيز على فهم ظروفه و مبرراته.

كما أنه لا بد من دراسة ما ينسب إلى المرتاضين حتى من غير المسلمين من خوارق .. و كذا ما ربما يقال من حصوله لبعض غير المسلمين ممن لهم اعتقادات غير صحيحة.

و هل يدخل في هذا المورد (الكرامات) اخباراتهم عليهم السلام بالأمور الغيبية و عن المستقبل، و هل كانت ذلك من هذا الباب، أم أن بعضه من العلم الخاص، و بعضه ليس من هذا و لا ذاك، و إنما هو معرفة للنتائج من خلال دراسة الظروف الموضوعية بدقة و وعي؟! كما أنه لا بد من معرفة السبب في أن عليا عليه السلام قد كان يهتم باظهار هذا الأمر، اعني الاخبار بالمغيبات، و قد بلغت اخباراته حدا جعل بعض الناس يتهمونه بالتكهن و حتى بالكذب - و العياذ بالله-.

مع ذكر نماذج مما تحقق من اخباراته الغيبية صلى الله عليه وآله

١١. حدود علوم الأئمة عليهم السلام و كيفية علمهم مع تسجيل الملاحظة التي تقول: إنهم عليهم السلام كانوا باستمرار يؤكدون على أن لديهم من العلوم و المعارف الخاصة ما ليس عند غيرهم، و أنهم إنما تلقوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو مصدر الوحي، و من ذلك قولهم: إن عندهم الجفر و الجامعة «كتاب علي عليه السلام» و غير ذلك. و ما هو السر في ذلك؟

١٢. محاولة اعطاء وصف دقيق - مع الامثلة الكثيرة - لشخصياتهم في ابعادها المختلفة، و ابراز فضائلهم و مزاياهم النفسية، بالاضافة إلى التعرف على سلوكهم الانساني و الاخلاقي.

ثم إعطاء تصور عن حياتهم الخاصة، و وصف دقيق لتعاملهم مع ابنائهم و سائر أفراد عوائلهم، و حركاتهم داخل بيوتهم، و تصرفاتهم مطلقا، حتى مع ضيوفهم، أو حينما يكون ثمة ما يوجب فرحا و سرورا أو حزنا و جزعا.

ملاحظة مصادر أموالهم و حجمها، من أين كانوا يحصلون عليها و كيف؟ و في أي شيء كانوا ينفقونها؟ و ما هو مدى تأثير المال في حياتهم و في روحياتهم و نفسياتهم؟

ثم الاشارة إلى حقيقة موقفهم من عطايا الحكام، و متى تقبلوها، و لما ذا؟

و هل كان رفضهم لها يعني - بنظر الحاكم الظالم - تحديا، و اعلانا للحرب ضده.

و لا بد من معرفة السر في أن أمير المؤمنين عليه السلام قد كان ينفق

على نفسه من أمواله في المدينة، و هل كان يأخذ من بيت المال عطاء، و في أي شي ء كان ينفقه، و كيف جاز له أخذ العطاء، إذا كان يملك من البساتين ما تقدر صدقته، أو غلته بأربعين ألف دينار في السنة؟! و هل كانوا عليهم السلام يتناولون من الخمس شيئا، و كذا من غيره من الحقوق الشرعية، و لما ذا؟

هذا بالاضافة إلى توضيح كيف أنهم عليهم السلام كانوا يصرون على العمل في مزارعهم و بساتينهم بأنفسهم.

ثم البحث عن سرّ مطالباتهم ببعض ما انتزع منهم من أراض، و ما ذا كان مصير الخمس في عهد علي عليه السلام.

١٤. اساليبهم التربوية لشيعتهم، و أسس و أساليب تعاملهم معهم، و كيفيات ربطهم الناس بقضية أهل البيت عليهم السلام، عقائديا و عاطفيا و ثقافيا و غير ذلك، و تأثيرات هذه المركزية الدينية على الحالة الفكرية و على الانسجام في الفهم للامور و في المواقف و التطلعات، و الآمال – هذا – إلى جانب موقفهم من كل الثقافات الأخرى و أن كل ما لا يخرج من هذا البيت فهو زخرف، و مدى تأثير ذلك في صيانة الفكر و العقائد، و المفاهيم لدى الناس الذين كانوا مرتبطين بهم.

١٥. هذا بالاضافة إلى تسليط الاضواء على الحالة التنظيمية الدقيقة التي ركزوها فيما بين شيعتهم، و الماحة الى دور وكلائهم في مختلف الاقطار، و حدود صلاحيات و وظائف أولئك الوكلاء، ثم معالجات الأئمة عليهم السلام للخلافات التي ربما كانت تنشأ فيما بين هؤلاء الوكلاء، مع التركيز الدقيق على الانضباطية في الحالة التنظيمية، حتى إنهم ليرجعون الأموال لاحد الاشخاص، ليدفعه الى الوكيل الذي كان في بلد ذلك الشخص.

١٦. الاساليب الحربية، و مبادئ الحرب عندهم، هذا بالاضافة إلى المبررات التي كانت تكفي – في رأيهم الذي هو رأي الاسلام – لخوض الحروب و مكابدة ويلاتها. هذا بالاضافة إلى بيان الحدود التي تفرض ايقاف تلك الحرب، و مبررات التخلي عنها. و وصف دقيق لتعاملهم الانساني مع أعدائهم، و رفض منطق التشفي، و اسباب ذلك و تأثيراته.

١٧. ابراز اهتمام الأئمة عليهم السلام بتربية متخصصين في العلوم و الفنون، فهذا متكلم، و ذاك فقيه، و آخر كيميائي، و هكذا ... ثم اهتمامهم في أن لا يتجاوز كل منهم حدود اختصاصه و ارجاع الآخرين حين تمس الحاجة إلى أصحاب الاختصاصات هذه كل حسب ما يتناسب مع ما يطلبه و يريده.

هذا... إلى جانب ابراز المستوى الثقافي لاصحابهم عليهم السلام حتى لقد أصبحوا في عهد الامام الصادق، و الكاظم عليهما السلام هم الطليعة المثقفة و الواعية، و ارباب الفكر و العلم في الأمة الاسلامية، و هيمنوا على الثقافة العامة بصورة واضحة. و دراسة تأثيرات ذلك على صقل الفكر و انتقاء المقولات لدى أرباب الفرق و المذاهب الأخرى، هذا... بالاضافة الى تأثيرات ذلك على السياسة و السياسيين و مواقفهم من الائمة عليهم السلام، و من الشيعة بصورة عامة.

١٨. بيان اهتمام الائمة عليهم السلام بتعليل الاحكام الشرعية و غيرها، حتى لقد ألفت الكتب فيما روي عنهم عليهم السلام من علل أو من حكم و دراسة الطابع و الخصائص التي كانت تتميز به تلك التعليلات و الموضوعات و النواحي التي ابرزتها أكثر من غيرها.

١٩. بيان أنهم عليهم السلام كانوا لا يستعملون التقية في بعض القضايا الحساسة، رغم خطورة ذلك على حياتهم، كقضية: أنهم الأحق بالإمامة من كل أحد، و قضية النص على علي عليه السلام فما هو سر ذلك؟ و ما هي الاساليب التي استفادوا منها لاقناع الناس بهذا الأمر الخطير. ثم إظهار أنهم كانوا يركزون في اثبات ذلك على أمرين: أحدهما: اظهار و اثبات: أن لديهم علوما خاصة، ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه و آله، و لا توجد لدى أي كان من البشر. الثاني: قضية النص.

٢٠. كيف كان يتم الاتصال فيما بين الأئمة عليهم السلام و بين القاعدة الشعبية، و بسائر أفراد شيعتهم، الذين كانوا في ضيق شديد، و محنة عظيمة من قبل حكام الجور، و كثير منهم في السجون، أو مشردون في البلاد.

مع إعطاء لمحة عن الاساليب و الوسائل التي كان كبار شيعتهم يتوسلون بها للاتصال بهم و لا سيما في الظروف الصعبة و الحرجة.

٢١. لا بد من إعطاء لمحة عن نشاطات الائمة حينما كانوا في سجون الطواغيت، سواء في ذلك نشاطاتهم فيما بين الناس الذين يسيرون في الخط الآخر، أي في ركاب الحكام أو ينتمون إلى فرق أخرى ليست على علاقات طيبة مع خط اهل البيت عليهم السلام، حتى لنجد يحيى بن خالد البرمكي يشكو إلى الرشيد بأن الامام الكاظم و هو تحت هيمنتهم، و رقابتهم قد أفسد عليهم قلوب شيعتهم.

٢٢. و بعد.. فان الملاحظ هو: أن الامام السجاد عليه السلام قد كان يهتم بالموالي و شرائهم و عتقهم بصورة متميزة عن باقي الأئمة عليهم السلام باستثناء ما عرف عن امير المؤمنين عليه السلام و كان يعلمهم و يثقفهم، و كان يكتب ذنوبهم في كتاب، ثم يذكرهم بها و يعتقهم و قد اعتق الوفا كثيرة منهم. لا بد من دراسة دقائق تعامله عليه السلام معهم و ظروف عتقه لهم و آثار هذا التعامل و دوافعه. مع الالتفات إلى أن هذا منه عليه السلام يجيء في وقت كان فيه الحكام يمارسون سياسة التمييز العنصري، و تفضيل العرب على كل من سواهم.

ثم الالماح إلى دور الموالي في نشر الاسلام و لا سيما التشيع لأهل البيت، ثم ما كان لهم من دور في نشر الاسلام في الامم الأخرى بصورة عامة.

كما أنه لا بد من دراسة ظاهرة تزوج نفس الأئمة عليهم السلام بغير العربيات بكثرة، حتى ان عددا منهم قد ولد من هؤلاء النساء بالذات.

كما أن لمعرفة الائمة بلغات الأمم آثارا لها طابعها الخاص، لا بد من الاطلاع عليه و الالمام به و بمناشئه.

٢٣. ثم هناك موضوع التمهيد منهم عليهم السلام لغيبة الامام المهدي صلوات الله و سلامه عليه، و كيف بدءوا يحتجبون عن الناس منذ عهد الامام الهادي عليه السلام، ليعودوا شيعتهم على هذه الظاهرة. هذا بالاضافة إلى أن الإمام الجواد و الهادى قد تصديا لمقام الامامة في سن مبكر جدا، أي في الخامسة أو فوقها بسنوات معدودة. مع ملاحظة مدى تأثير ذلك على موقف الشيعة و على فكرهم، ثم على موقعهم بين أهل الملل الاخرى.

مع الاشارة إلى أن الامام المهدي عجل الله فرجه قد غاب و هو صغير السن، و ذلك بعد وفاة والده عليه السلام.

٢٤. و لا بد من الحديث عن مساهمة الأئمة عليهم السلام في النهضة العلمية، و عن تصريحاتهم أو تلميحاتهم إلى حقائق علمية، لم يمكن اكتشافها، أو فقل إدراكها الا بعد قرون من الزمن. و عن بعض القواعد و المباني التي ساعدت على تحقق هذه النهضة العلمية، مع ذكر امثلة صريحة و يقينية في هذا المجال، مع ملاحظة تنوع العلوم، و من اشتهر من اصحابه بالتصدي إليها كجابر بن حيان و غيره.

٢٥. و من الامور الجديرة بالبحث «الدعاء» عند الأئمة، و لا سيما بالنسبة لأمير المؤمنين، و السجاد، و الحسين عليهم السلام، مع تقييم و بحث للصحيفة السجادية، و مضامينها المختلفة، و موضوعاتها المتنوعة، السياسية، و العقائدية، و التربوية، و الاخلاقية و غير ذلك. مع الاشارة إلى ما يلاحظ من المد و الجزر في مستوى اعتمادهم صلوات الله و سلامه على طريقة الدعاء في ابلاغ و تحقيق مقاصدهم الاعلامية و التعليمية و التربوية.

كما لا بد من إلماحة و لو سريعة بما كان يعاني منه الناس من جهل مطبق، و تجهيل متعمد لهم بالاضافة إلى ظاهرة التحريف التي كانت تستهدف الاسلام و المسلمين في تلك الفترة، حتى إن بني هاشم، و هم أقرب الناس إلى مصدر الوحي و التنزيل كانوا إلى أن مضت سبع سنين من امامة الباقر عليه السلام لا يعرفون كيف يصلون، و لا كيف يحجون.

كما أن من المفيد جدا تقديم دراسة لرسالة الحقوق للامام السجاد، و لعهد أمير المؤمنين عليه السلام للاشتر، و توحيد المفضل، و الرسالة الطبية الذهبية.

٢٦. و إذا كنا نجد أنه لم يكن يعترف بامامة السجاد سوى ثلاثة اشخاص، أو خمسة، حسب اختلاف النقل، فلا بد من معرفة الخطوات التي اتخذها الامام السجاد عليه السلام لتهيئة الأجواء لمدرسة الباقر و الصادق عليهما السلام.

مع أن الناس بعد قتل الحسين، و بسبب السياسة الأموية البغيضة قد انصرفوا عن اهل البيت، و لم يبق بينهم بنظرهم شخصية كبيرة تعنو لها الحياة بالتسليم و الخضوع و كيف استطاع السجاد عليه السلام أن يصبح الرجل العظيم الذي يجله حتى أعداؤه و مخالفوه اكثر من أي إمام آخر، فهل كان ذلك لأنهم رأوا فيه انصرافا عن طلب الحكم و السلطة؟ أم لغير ذلك من أمور.

و ما هو مدى صحة ما يقال من أنه عليه السلام قد غاب عن الناس عشر سنين ليعيش في البادية، و ما هو تفسير ذلك على تقدير صحته.

٢٧. ما هي دوافع الحركات الشيعية و غيرها كالزيدية و كحركات الغلاة، و كذلك سائر الحركات التي قامت ضد الحكم و الحاكمين، مثل حركات الخوارج، و ما هو موقف الائمة عليهم السلام من هذه الحركات، و كيف كانوا يوفقون بين آرائهم فيها، و بين حفظ موقعهم و هم يواجهون ظاهرة اندفاع الناس نحوها.

و لما ذا نهى علي عليه السلام عن قتال الخوارج بعده. و ما هو موقف الشيعة و الأئمة منهم.

٢٨. و لا بد أيضا من دراسة حقيقة موقف الأئمة عليهم السلام من الحكام و موقف الحكام من الأئمة، و كيف امكن لهم الحفاظ على التشيع، مع أنه كان يواجه الحكام على مدى التاريخ، و مع أن التعاليم التي كان يؤمن بها الشيعة هي على النقيض تماما مما يسعى الحكام له، و يعملون من أجله.

و قد رأينا أن حكومة الجبارين ما حاربت مذهبا إلا و خنقته في مهده، و قطعت أوصاله، إلا أن يسير في ركابها و يدور في فلكها و يجند نفسه و يحرف تعاليمه لتصبح في خدمتها، و قد كان المعتزلة فرقة قوية في منطقها و كانت تملك هي مقاليد السلطة على مستوى الخلافة الاسلامية كلها، و لكنها حين رأت السلطة:

أنها في غنى عنها و ناصرت خصومها فانها أصبحت في خبر كان، و أصبح أصحاب نحلة أهل الحديث، و هي من السخافة بمكان هم المسيطرون، و هم الحاكمون، و بقيت نحلتهم و دامت، و قعدت و قامت، و إن كان الاشعري قد حاول طلاء وجهها ببعض الأصباغ التي لم تستطع التخفيف من بشاعة ملامحها، حين يتأمل بها المتأملون، و يلتفت إلى ملامحها الشوهاء الواعون.

و لا بد أيضا من التوقف عند الاساليب التي كان ينتهجها الحكام لابعاد الناس عن الأئمة، و منها اسلوب التخويف و الملاحقة كما أن من الضروري الالفات إلى أن الشدة و غيرها من الاساليب التي كان الحكام يحاولون من خلالها ابعاد الناس عن أهل البيت عليهم السلام، قد كانت تنتج عكس ما يريدون و خلاف ما كانوا إليه يطمحون، حيث يزداد الناس في كثير من الأحيان تعلقا باهل البيت، ثم محاولة تفسير ذلك بالشكل المعقول و المقبول.

مع تقديم اطروحة كاملة عن نظرتهم عليهم السلام إلى الحكم و الحاكمين، و عن الموقف الشرعي منهم، و أساليب التعامل معهم.

٢٩. و من اللازم أيضا تفسير ظاهرة عدم ثورة الأئمة بعد الحسين عليه السلام على الحكام، مع وجود ثورات كثيرة قام بها الزيدية و غيرهم. كما أن من الضروري معرفة حقيقة موقف الائمة من ثورة زيد و المختار، و كذلك سائر الثورات التي كانت ترفع شعار الحق و العدل، كثورة الحسين الهرش و ثورة الحرة بالمدينة بالاضافة الى ثورة الحسين بن علي في المدينة، و سائر ثورات العلويين.

و لما ذا كانوا عليهم السلام يرغبون باستمرار هذه الثورات، و يقولون لشيعتهم: «**ما زالت الزيدية لكم وقاء أبدا.**» و يقولون أيضا ما مضمونه: «**ما زلت أنا و شيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمّد.**» أو نحو ذلك.

و كيف يمكن تفسير هذا الكلام، و على أي معنى يحمل. مع أننا لا نجد في علاقات نفس هذا الامام بالثائرين، ما يشجع، أو ما يستحق أن يقال عنه: إنه علاقات طبيعية على أقل تقدير، و ذلك بسبب وجود كثير من الفجوات و المشاكل فيما بينه و بينهم.

٣٠. يضاف إلى ما تقدم: دراسة محاولاتهم عليهم السلام إدخال بعض الشخصيات الشيعية – و لو مع التقية – إلى المراكز الحساسة في الدولة التي يحكمها الظالمون، كما هو الحال في ابن يقطين في دولة الرشيد العباسي. و قد بقي بعض الشيعة يحاولون النفوذ إلى بعض المراكز في الحكومات، حتى بعد عصر الأئمة الطاهرين عليهم السلام. و لكنهم في نفس الوقت يمنعون صفوان الجمال من كراء جماله لهارون الرشيد حتى لأداء فريضة الحج. فكيف نوفق بين هذين الموقفين.

٣١. و من المفيد جدا أيضا: التعرف على الاساليب العملية في مجال الدعوة كالدعاء، و الشعر، و الكرامات، و الاخبار بالمغيبات. بل نجد عطاياهم للشعراء مثيرة للعجب، لكثرتها، حتى ليرد سؤال: أ ليس الفقراء كانوا أولى بهذا المال من هذا الشاعر؟

كما لا بد من دراسة استشهادات علي و الحسين عليهما السلام كذلك لحديث الغدير في رحبة «الكوفة» و في منى و غير ذلك من المواضع.

و هناك أيضا موضوع تخصيص الامام الباقر عليه السلام ثمانمائة درهم لنوادب يندبنه بعد موته في منى في موسم الحج لمدة عشر سنين. هذا بالاضافة إلى حثهم الشديد و الاكيد على اقامة مجالس العزاء و البكاء على الحسين عليه السلام.

إلى غير ذلك من أساليب تعليمية و إعلامية اختاروها في مجال دعوتهم إلى الله سبحانه، و كلها مشروعة، و مؤثرة.

و إذا كان الاهتمام بالابتعاد عن مذهب أهل البيت، و بالجعل و الاختلاق للحديث – قد تجلى في القرن الأول أكثر منه في الذي يليه فاننا نلاحظ قلة المأثورات في الفقه في القرن الأول، و لم يكن ثمة تحديد واضح لكثير من المسائل و الاحكام في تلك الفترة، و قد يكون ذلك لأجل تفويت الفرصة على الوضاعين و أعداء الحق. و قد يكون لغير ذلك أيضا. ثم بدأ التركيز على المسائل الفقهية و تحديدها، و تحديد الحق في غيرها من المسائل العقائدية منها و غيرها – قد بدأ بعد ذلك القرن، أي من زمن الباقر عليه السلام. أو فقل بعد مضي سبع سنين من امامته كما أشارت إليه بعض النصوص.

كما أن إظهار الجانب العقائدي السياسي و التدبيري قد كان في عهد الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام اكثر منه في عهد سائر الائمة من ولده.

٣٣. كما لا بد من دراسة مواقفهم عليهم السلام من الثقافات الوافدة، و المعايير التي رسموها لشيعتهم لقبول ما يمكن قبوله منها، ورد ما يجب ردّه، مع بيان ما قبلوه مطلقا، و ما قبلوه بشرط، و ما لم يقبلوه مطلقا أيضا.

و أخيرا لا بد من معالجة موضوع الغيبة و فوائدها و آثارها و كيف ربى الائمة شيعتهم على الاستقلال الفكري، باعطائهم الضوابط و المعايير العامة التي تمكنهم – لو روعيت – من اتخاذ الموقف الصحيح في مختلف الحالات و الظروف، و على مر الزمان.

كما لا بد من دراسة الزلزال الكبير الذي احدثته الغيبة رغم الاعداد لها بامامة الجواد و الهادي و هما صغيران، و باحتجاب العسكريين عن الناس أيضا تمهيدا لذلك، و غير ذلك مما يجده الباحث المتتبع.

جعفر مرتضى العاملي

المصدر: «الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام»، رسول جعفريان، دار الحق، ١٤١٤هـ

آيات الإمامة: من الشهادةِ التكوينيةِ إلى الكتاب المبين

قيل قد قسمنا الآيات التي تتحدث عن الامامة إلى طوائف عدة نتناولها بالتفصيل و الطائفة الثانية كانت آيات الكتاب وعمدة البحث في آيتين الاولى:

«وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ»[1]

«أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ»[2]

وفي الآية الاولى قيل بعض الأمور الى مقام: لمقام القران الكريم ومراتبه و قيل فيه مسائل ثلاث:

المسألة الاولى

ان القران ذو حقيقة تكوينية بمعنى ان القرآن لا تنحصر درجات وجوده بالعبارات الوارد ذكرها بين الدفتين، وأن هذا الوجود للقرآن هو المعبر عنه بالكتبي وأنه معبر عن وجود آخر للقرآن وهو الوجود التكويني، ويدل على هذه المرتبة للقرآن مجموعة من الشواهد:

أ. ان التنزل يدل على أن القرآن كان موجودا ثم تنزل بما نراه نحن الآن وهذا التنزل لا يضاهيه التعبير بأنه كان لفظا مصوتا وكلاما نفسيا.

ب. بعض الآيات القرآنية التي تدل على آثار للقرآن لا يمكن نسبتها إلى هذا الوجود الاعتباري من نحو **«وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا...»**[3] حيث أنه قد ذكر في شأن النزول أن قريش اقترحت على النبي صلى الله عليه وآله أن يباعد بين جبال مكة لأن مكة ضيقة فتتوسع وتصبح بها وديان وسهول ومزارع وما شابه ذلك، وطلبوا منه أن يحيي لهم قصي جد قريش وأجدادهم ليكلموهم، فالله تعالى يخاطبهم أن القرآن لو أظهر لهم تلك الآثار بالقرآن لما آمنوا، وهذه الآثار لا تفترض للكتاب الاعتباري لأن هذه ألفاظ والوجود اللفظي وجود تنزيلي للشيء.

ج. قوله تعالى «**لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...**»[٤] وواضح ان المقصود في هذه الآية ليس القرطاس والورق الذي كتب عليه القرآن له هذه الخصوصية، ولم ينزل القرطاس المكتوب على صدر النبي الخاتم، بل ان ما نزل هو المعاني وحقيقة القرآن التكوينية هو الذي يجعل الجبل خاشعا متصدعا، ولدينا شاهد على تصدع الجبل وهو في قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) فتدكدك الجبل هو من تجلي النور الالهي، والحقيقة القرآنية هي التي تجعل الجبل متصدعا وهي التي لها الآثار التكوينية.

د. قوله تعالى «**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**»،[٥] فهذا القرآن المتصف بالمجد وهو نوع من العلو والرفعة والعز العظمة في اللوح المحفوظ فهو متنزل من حقيقة أخرى.

هـ. قوله تعالى «**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»[٦] وهذه الآية صريحة في كون حقيقة القرآن التكوينية في كنّ محفوظ لا يناله إلا المعصومون.

المسألة الثانية

ما ورد من وصف الكتاب بالمبين وقد ورد ذلك في أماكن متعددة. ويذكر العلامة الطباطبائي في ذيل قوله تعالى «**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ... فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**»[٧] أن الكتاب وارد في ثلاث معان:

الاول: الكتب المنزلة على الانبياء وهي المشتملة على شرائع الدين مثل كتاب نوح «... **وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...**»[٨] «**صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ**»[٩]

وكتاب **عيسى** عليه السلام وهو «الانجيل»: «... **وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ...**»[١٠] وكتاب محمّد صلى الله عليه وآله «**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ**»[١١]

والثاني: الكتب التي تضبط أعمال العباد من حسنات أو سيئات، وهو كتاب الاعمال والآجال «**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا...**»[١٢] وما ورد في «سورة المطففين»، الآية ٢١.

والثالث: الكتب التي تضبط تفاصيل نظام الوجود و الحوادث الكائنة فيه ولعل هذا النوع من الكتب فيه ضبط عام حفيظ لجميع الموجودات وهو ام الكتاب يستطر فيه كل شيء وفيه ضبط خاص يتطرق إليه المحو والاثبات، وهذا هو الكتاب المبين واللوح التكويني «... **وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ... إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**»[١٣]

فالكتاب المبين بشهادة الآيات هو الذي يستطر فيه كل شيء وهو يحصي جميع ما وقع في عالم الصنع والايجاد مما كان وما يكون وما هو كائن من غير أن يشذ عنه شاذ وفيه نوع تعيين وتقدير للاشياء إلا أنه موجود قبل الأشياء ومعها وبعدها.

المسألة الثالثة

ان القرآن الكريم هو الكتاب المبين بدليل قوله تعالى «... **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ...**»،[١٤] وهذا الكلام الصادر من الحكيم العليم ليس من قبيل الالفاظ العادية والمبالغات وقد أشرنا إلى ذلك في بداية الفصل حول المعاني القرآنية العالية، و أننا إذا استنطقنا القرآن ووصلنا إلى معنى فلا يجوز ان نتراجع عنه خشية ذلك المعنى الهائل، فإذا كان القرآن فيه تبيان لكل شيء صادر من حكيم، وهو تعالى يعبر عن القران بذلك وفي موضع آخر أن الكتاب المبين فيه كل شيء ولا يعزب عنه شيء، وليس المقصود من التبيان هو خصوص الاحكام الشرعية وذلك لان الواقع يخالفه حيث أن أربعة أخماس القرآن في المعارف الالهية، ولا يمكن ان نقول ان ظاهر هذا الذي بين الدفتين هو فيه كل شيء من احكام الوجود وهو محدود إلا إذا اعتبرناه نافذة على أمر آخر، وأنه يشير إلى حقيقة معينة هي القرآن الذي فيه تبيان لكل شيء، وهذا هو الذي نريد الوصول إليه من أن النبي الخاتم اختص بالكتاب المبين، ومن هنا لم تطلق على كتب بقية الانبياء القرآن بل الفرقان.

الهوامش:

١. سورة الرعد، الآية ٤٣.
٢. سورة هود، الآية ١٧.
٣. سورة الرعد، الآية ٣١.
٤. سورة الحشر، الآية ٢١.
٥. سورة البروج، الآيتان ٢١ و٢٢.
٦. سورة الواقعة، الآيات ٧٤-٨٠.
٧. سورة الانعام، الآية ٥٩.
٨. سورة البقرة ، الآية ٢١٣.
٩. سورة الاعلى، الآية ١٩.
١٠. سورة المائدة، الآية ٤٦.
١١. سورة الحجر، الآية ١.
١٢. سورة الاسراء، الآية ١٣.
١٣. سورة يونس، الآية ٦١.
١٤. سورة النحل، الآية ٨٩.

المصدر: الشيخ محمد السند، «الإمامة الإلهية».